الإخوة في النسب وسلوكهم في القرآن الكريم

(المفهوم، الدلالات، الآداب، الثمرات)

د. عبدُالله بن صَالحِ الخُضَيْري

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المُشَارِكُ بكليَّة الدَّعْوَةِ وَأُصُوْلِ الدِّيْن

جامعة أم القرى

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونؤمن به ونتوكل عليه.. ونصلي ونسلم على رسولنا محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام، وعلى آله وصحبه. أما بعد:

فإن القرآن الكريم كتاب هداية لا تنقضي عجائبه وهداياته، والمسلم مطالب بالتدبر فيه ليهتدي بهديه ويستنير بنوره، كما قال الله سبحانه: {**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**}ص:٢٩، ومن الركائز الاجتماعية المهمة التي اهتم بها القرآن الكريم وفصّل فيها: الإخوة، في آيات كثيرة، وبمستويات متعددة، فقد ذكر القرآن الإخوة من جهة النسب، والإخوة من جهة القبلية، والإخوة من جهة الدين، وغيرها.. ويستطيع الناظر في القرآن أن يدرك: بيان مفهوم الإخوة وأهميتها وفوائدها، ووسائل إقامتها على الهدي الكامل، إلى غير ذلك من الأمور التي تأتي في إطارها..

وفي هذا البحث رأيت أن أركز على: أخوة النسب، من حيث المفهوم، والدلالات، والآداب، والثمرات، لما لهذا الموضوع من أهمية عظيمة في حياتنا جميعا، ولأنه مما لا يخلو عنه مجتمع، بل لا تكاد تقوم أسرة –في الغالب- إلا بوجود إخوة من النسب، ولهذا فنحن بحاجة إلى معرفة البيان العلمي الذي يهدي إليه القرآن في التعامل بين الإخوة من النسب. وقد سميت هذا البحث: **(الإخوة في النسب وسلوكهم في القرآن: المفهوم، الدلالات، الآداب، الثمرات).** وأسأل الله أن أوفق في عرضه وبيانه.

الدراسات السابقة:

لم أطلع على بحث علمي بهذا العنوان، ولا على دراسة سابقة.

أهمية البحث:

وتأتي أهمية هذا البحث من جهتين:

الأولى: كونه مرتبطا بالتدبر لكتاب الله تعالى، وباستجلاء هداياته، كما أمرنا الله تعالى بذلك.

الثانية: كونه يبحث في قضية دينية واجتماعية مهمة، وملحة في حياتنا، وخاصة في العصر الحاضر الذي ضعفت فيه أواصر الأخوة من النسب، ناهيك عن الأُخُوة العامة..

أهداف البحث:

والباحث يهدف من وراء هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١ـ التعريف بمفهوم الإخوة، والإخوة من النسب في القرآن الكريم.

٢ـ بيان دلالات أخوة النسب في القرآن الكريم.

٣ـ بيان آداب ومقتضيات أخوة النسب.

٤ـ بيان ثمرات أخوة النسب.

منهجية البحث:

البحث قائم على المنهج الوصفي الاستقرائي، ثم التحليلي الاستنباطي، من خلال النظر في دلالات الألفاظ والسياقات ومعانيها ومفهوماتها، وأقوال العلماء والمفسرين.

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة وتمهيد ثلاثة مباحث، وخاتمة، كالآتي:

المقدمة وفيها: أهمية البحث وأهدافه ومنهجه وخطته.

تمهيد وفيه: بيان مفهوم الأُخُوَّة، ومعانيها.

المبحث الأول: مفهوم ودلالات أُخُوة النسب.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم أخوة النسب.

المطلب الثاني: دلالات أخوة النسب في سياق القرآن.

المبحث الثاني: سلوك الإخوة من النسب.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: السلوك الإيجابي لإخوة النسب.

المطلب الثاني: السلوك السلبي لإخوة النسب.

المبحث الثالث: آداب أخوة النسب وثمراتها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آداب ومقتضيات أخوة النسب.

المطلب الثاني: ثمرات أخوة النسب.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج وتوصيات البحث.

تمهيد:

بيان مفهوم الأُخُوَّة، ومعانيها في القرآن الكريم:

أولا: مفهوم الأخوّة عموما: ويمكن التعرف على مفهوم الأخوّة من خلال الآتي:

أ: معني الأخوّة في اللغة:

الأُخوّة مصدر أَخ، يقال: ما كنتَ أخاً ولقد أَخَوْتَ أُخُوَّةً[١]. وأخُ أصله أَخَوٌ بالتحريك، لأنه جمع على آخاء مثل آباء، والذاهب منه واو، لأنَّك تقول في التثنية أَخوانِ، ويجمع أيضا على إخوان[٢]. والإخَاءُ: المُؤَاخَاةُ والتّآخِي والأُخُوَّةُ: قَرَابَة الأخِ. والتّآخِي: اتِّخاذُ الإخْوَانِ، وَيُقَال: بَينهمَا إخَاءٌ وأُخُوَّةٌ[٣].

ومن خلال النظر في لفظة الأُخُوَّة ومشتقاتها نجد أنها تطلق في اللغة على أحد المعاني التالية:

١ــ الموافقة والتوافق، قَالوا: سُمِّي الأَخُ أَخاً لأَنَّ قَصْده قَصْد أَخيه، وأَصله مِنْ وَخَى أَي قَصَد، فَقُلِبَتِ الْوَاوُ هَمْزَةً[٤]. وقال بعض أهل العلم: سمي الأخَوان لتأَخِّي كل واحد منهما ما يتأخَّاه الآخر، أي لتَحرّي كل منهما نفس مقصد الأخر.

٢ــ الرابطة المحكمة الشديدة، ومنه أَخِيَّة الدابَّةِ: عُودٌ تُشَدّ به. ويقال: إنَّ الأُخوَّة مشتقة منها. وجمعها أَواخِيّ[٥].

٣ــ التقارب والمشاكلة، لسبب مُعَين، سواء وُجد تآلف أم لم يوجد[٦].

---

(١) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المؤلف: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.(١/ ٢٠٥)

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م . (٦/ ٢٢٦٤)

(٣) تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م. (٧/ ٢٥٤)

(٤) لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ. (١٤/ ٢٢)

(٥) مجمل اللغة لابن فارس، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م. (ص: ٨٩) وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (١/ ٢٠٤).

(٦) انظر: تهذيب اللغة (٧/ ٢٥٤) وتاج العروس من جواهر القاموس، للمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د ت. (٣٧/٥٠،٤٩)

٤ـ الحرمة والاحترام والذِّمة[٧].

ب: <u>الأخوّة في الاصطلاح:</u> يمكن أن نعرفها بأنها: ما يكون بين الأخَوَين[٨] أو الإخْوة، من التقارب والترابط والاحترام، كما في المعاني المذكورة في اللغة، جميعها أو بعضها. وهذا معناه أن الأُخُوة حالة تقارب وترابط قائمة بين الأَخَوين أو الإخوة، ولها مظاهر وعلامات محددة..

وقد قيل إن الأخ: هو كل من جمعك وإياه صُلب أو بَطن، ويستعار لكل مُشابِهٍ لغيره، أو مشارك له في القبيلة، أو في الدين، أو في الصنعة، أو في معاملة، أو في مودة، أو في غير ذلك من المناسبات، والأخت: كالأخ[٩].

وبالنظر إلى كل المعاني السابقة نجد أنها أقرب إلى مظاهر الأخوة وأسبابها وأسسها وركائزها، ويمكن لنا أن نجمعها في إطار واحد لتعريف الأخوة، أو بيان مفهومها، فنقول بأن <u>الأخوة هي: حالة من التقارب والتآلف، تتجلى من خلال التوافق والمحبة والاحترام، وتقوم على أسس وركائز جامعة تربط بين المتآخِيَيْن.</u>

وقد عرفوا الأُخُوَّة في الدين بأنها: رابطة تقوم على أساس التماثل في الاعتقاد والتفكير والعمل والسلوك؛ تشبيها لها بتماثل الأَخَوين ولا سيما إذا كانا شقيقين، في كثير من الخصال والخِلال[١٠].

<u>ثانيا: معاني الأخوة في القرآن الكريم:</u>

لم تأتي كملة "الأُخُوَّة" بلفظ المصدر في القرآن الكريم، وإنما جاءت بألفاظ أخرى هي: أخ، وأخت، وإخوان، وإِخْوة، وأَخوات.. فكلها من الأخ الاسم، وليس من الأُخُوَّة المصدر الدال على حالة المؤاخاة، ومع ذلك فإن معانيها ترجع إلى الدلالة على حالة الأُخُوة التي ترجع إلى المعاني اللغوية التي ذكرناها سابقا.

---

(٧) مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م. (ص: ١٤)

(٨) مجمل اللغة لابن فارس (ص: ٩٠)

(٩) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت . (ص: ٦٣)

(١٠) التيسير في أحاديث التفسير، المؤلف: محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م . (٢/ ٣٦٢)

وَقد لخص ابن الجوزي معاني الأخ التي وردت في القُرآن الكريم، فقال إنها على خَمسَة أوجه[١١]:

أَحدهَا: الأَخ من الأَب وَالأُم أَو من أَحدهمَا. وَمِنه قَوْله تَعَالَى: {فَإِن كَانَ لَهُ إخْوَة فلأمه السُّدس} النساء:١١، وَقوله: {فطوعت لَهُ نَفسه قتل أَخِيه فَقتله} الْمَائِدَة:٣٠.

وَالثَّانِي: الإخاء من القَبِيلَة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: {وَإِلَى عَاد أَخَاهُم هودا}، وقوله: {وَإِلَى ثَمُود أَخَاهُم صَالحا}، {وَإِلَى مَدين أَخَاهُم شعيبا}، وما شابهها.

وَالثَّالِث: الإخاء فِي الدّين والمتابعة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: {فأصبحتم بنعمته إخْوَانًا} آل عمران:١٠٣، وقوله: {إِن المبذرين كَانُوا إخْوَان الشَّيَاطِين} الإسراء:٢٧، وقوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إخْوَة} الحجرات:١٠.

وَالرَّابِع: الاخاء فِي الْمَوَدَّة والمحبة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورهمْ من غل إخْوَانًا} الحجر:٤٧.

وَالْخَامِس: الصاحب، والمماثل. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: {إِن هَذَا أخي لَهُ تسع وَتسْعُونَ نعجة} ص:٢٣.

وهذا التلخيص يذكر المعاني بصورة مباشرة، ويتأيد بأقوال المفسرين واللُّغويين، ولكن يمكن أن تصنف تلك المعاني من جوانب أخرى، فنقول بأن الأخ في القرآن ذُكر في معرض الدلالة على معاني تتأطر في ثلاثة أُطر، كما يلي:

أ- التناسب والتوافق المعنوي، مثل ما جاء في الآيات الدالة على أخوة المؤمنين، وعلى أخوة المنافقين.

ب - التقارب الحسي، مثل ما جاء في أخوة القبيلة، وأخوة النسب..

ج - التشابه، والتماثل، مثل ما في قوله تعالى: {وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا} الزخرف:٤٨، ومثل الأخوة مع الشياطين، والأخوة في المهنة والعمل.

---

[١١] نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م. (ص: ١٣٢) وما ذكر من المثال للوجه الخامس، هو على رأي بعض المفسرين، وبعضهم يرى أنها في الأخ من النسب. انظر: التحرير والتنوير، تونس، محمد الطاهر ابن عاشور، ط (١٩٨٤ هـ) الدار التونسية للنشر. (٢٣/ ٢٣٥). وكون الآية في أخوة النسب هو ما رأى الباحث أنه الأظهر، وسار عليه في هذا البحث، بدليل أن الشكوى التي استدعت الحكم بين المتخاصمَين، لا يكون داعيها مجرد طلب أحدهما النعجة لضمها إلى نعاجه، من غير سبب يتوجب ذلك الطلب، بل لا بد أن يكون ذلك عن وجود دواعي توارث وقرابة، وليست الصحبة المجردة مبررا كافيا لذلك الطلب، الذي ارتقى إلى الخصومة. والله أعلم

وبالنظر إلى هذه المعاني من زاوية تحقيقها، نرى أن الأخوة يمكن أن تحصل بطريقين، ولكلٍ منهما أسبابها:

الطريق الأول: الاتفاق بين المتآخيين من حيث الطبيعة والعادات والميول والاتجاهات، ومن أسباب ذلك: التجانس والمشاكلة، والاتفاق والتواصل، والمؤانسة، وانبساط النفوس وزوال الحواجز، وخلوص النية والمصافاة، والثقة المتبادلة، والمحبة اللازمة للمؤاخاة، والإعظام والتعظيم..

وفي هذه الحالة تكون الأخوة بالطبع والجبِلَّة والعادة، ولا يمنع ذلك أن توصف بأنها أُخوة في الدين أو أُخوة في الله.

الطريق الثاني: المؤاخاة عن قصد ونية، أي أن الإنسان يقصد إليها قصدا، والباعث إليها في هذه الحالة أمران:

ـ إما الرغبة: وهي أن يظهر الإنسان مودته في مؤاخاة إنسان آخر لظهور فضائل لديه.

ـ وإما الرهبة أو الحاجة: وتعني رهبة الإنسان وخوفه من تبعات الانفراد، وبالتالي فهو في حاجة إلى اصطفاء إنسان يأنس بمؤاخاته، وينتفع بها(١٢).

ومع كل هذه التوجيهات لمعاني الأخوة في القرآن الكريم، لا بد من ملاحظة أنها تنوع بين الإيجابي والسلبي، وتتفاوت في المستويات الدلالية.

---

(١٢) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ـ ﷺ، المؤلف : عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة. (٩٣/٢، ٩٤)

المبحث الأول: مفهوم ودلالات أُخُوة النسب

المطلب الأول: مفهوم أخوة النسب

مرَّ معنا مفهوم الأخوة، وهنا نضيف مفهوم النسب، ثم نبين مفهوم أخوة النسب، وذلك كما يلي:

النسب في اللغة والاصطلاح:

في اللغة:(نَسَبَ) النُّونُ وَالسِّينُ وَالبَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ قِيَاسُهَا: اتِّصَالُ شَيءٍ بِشَيءٍ. مِنْهُ النَّسَبُ، سُمِّيَ لِاتِّصَالِهِ وَلِلِاتِّصَالِ بِهِ[١٣].

وفي الاصطلاح: يطلق النسب على القَرَابات[١٤]، أو على القرابة. يقال: بينهما نسب: أي قرابة مطلقا، سواء جاز بينهما التناكح، أم لا.

وفصّل البعض في القرابة، انطلاقا من قوله تعالى:{**وهو الذي خَلق من الماء بشرا فجَعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا**} الفرقان:٥٤، فقال: بأن النسب: هو من لا يَحل نكاحه. والصهر: هو من يَحل نكاحه[١٥]. وذوو "النسب" هم الذكور، إذ إليهم يقع انتساب الذرية خلفا عن سلف، وذوات "الصهر" هن الإناث، إذ بواسطتهن تتم المصاهرة ويوجد الأصهار[١٦]. و"نسبا وصهرا" مصدران سمي بهما صنفان من القرابة. فالنسب لا يخلو من أُبُوّة وبُنُوّة وأُخُوّة. وأما الصهر فهو: اسم لما بين المرء وبين قرابة زوجه من العلاقة[١٧].

---

[١٣] معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. (٥/ ٤٢٣)

[١٤] العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال. د. ت. (٧/ ٢٧١)

[١٥] القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، المؤلف: الدكتور سعدي أبو حبيب، الناشر: دار الفكر. دمشق – سورية، الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م. (ص: ٣٥١)

[١٦] التيسير في أحاديث التفسير، المؤلف: محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م . (٤/ ٣٣٨)

[١٧] التحرير والتنوير (١٩/ ٥٥).

ويؤيد هذا حديث: «كل سَبَب ونَسَب ينقطع إلا سببي ونسبي»[١٨]، فالنسب بالولادة والسبب بالزواج[١٩].

والنسب نوعان: نسب قريب، ونسب بعيد، يقال: هذا أقْعد من ذاك في النَّسبِ، أي أسرع انتهاءً وأقرب أباً، ويقال: هذا أَكَلُّ من هذا، أي: أبعد في النسب[٢٠].

وعمود النسب عند الفقهاء: هو الآباء، والامهات، وإن علوا، والاولاد وإن سفلوا[٢١].

ويتوسع البعض في النسب فيجعله شاملا للقبيلة، بالاعتماد على ما قيل في عمود النسب وإن كان بعيدا، ما دام متصلا بأصل مشترك، وحملوا عليه قوله تعالى: {**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ**} الشعراء:١٠٦، وأمثاله مما ذكر القرآن عن الأنبياء: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً} الأعراف:٦٥، {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً} الأعراف:٧٣، {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً} الأعراف:٨٥، وأمثاله، فالمراد بأُخُوة النبي لقومه أنه ابن أبيهم، فهو شريكهم في أُخوة النسب[٢٢]. وقيل مثل هذا في تفسير قوله تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ**} آل عمران:١٥٦، فقيل الأخوة هنا أخوة النسب، إذْ كان قتلى أُحُد من الأنصار، وأكثرهم من الخزرج، ولم يقتل من المهاجرين إلا أربعة. وقيل: خمسة. ويكون القائلون منافقو الأنصار، قالوا لإخوانهم من القبيلة، جمعهم أبٌ قريب أو بعيد[٢٣].

---

[١٨] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م. (٤/ ٢٧١) رقم: ٧٤٣٠، قال: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ). (٢/ ٨٣٢) رقم:٤٥٢٧.

[١٩] النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. (٢/ ٣٢٩).

[٢٠] العين (١/ ١٤٣) و(٥/ ٢٧٩).

[٢١] القاموس الفقهي ص ٣٥١.

[٢٢] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م) . (٧/ ١٦٠٠)

[٢٣] انظر: البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ. (٣/ ٤٠٠).

مفهوم أُخُوة النسب: انطلاقا من المعاني المذكورة للأخوة وللنسب، يمكن أن نقول أن أُخوة النسب تعني: الرابطة القوية الحاصلة بسبب القرابة المشتركة في الأبوين أو أحدهما، بين أَخوَين أو أكثر، ذكورا وإناثا.

المطلب الثاني: دلالات أُخُوة النسب في سياق القرآن

الإخوة من النسب من أقوى الروابط الاجتماعية التي ركز عليها القرآن، وجعلها منطلقا لمتطلبات اجتماعية ودينية، وقد ذكرها القرآن الكريم في سياقات ذات دلالات عديدة، منها ما يقصد به الأخوة من النسب، من غير ارتباط بدلالة أخرى، ومنها ما له ارتباط بدلالات إيجابية، ومنها ما له ارتباط بدلالات سلبية. وسوف نجمل ذلك في الآتي:

أولا: دلالات أخوّة النّسَب المجردة:

دلت بعض الآيات دلالة واضحة على أخوة النسب، من غير ارتباط بدلالات أخرى، ومن ذلك مثلا، قوله تعالى: {**لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ**} يوسف:٧. وقوله: {**وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ**} يوسف:٥٨. وقوله:{**ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**} المؤمنون:٤٥. فهذه الآيات وغيرها.. تَنْصَبُّ دلالة ذِكْر الإخوة فيها على قصد الأُخوّة من النسب، وليست في معرض الدلالات الإيجابية أو الدلالات السلبية، ولكنها في معرض ذكر الواقع.

ويمكن أن يكون من وارد هذا القصد: آيات المواريث وكثير من الآيات التي سنستدل بها على المعاني الإيجابية أو السلبية لذِكْر الأخوة من النسب، ولكنا هنا ذكرنا أمثلة الدلالة على الأخوة النَّسَبية مجردة.

ثانيا: الدلالات الإيجابية لأخوة النسب في السياق القرآني:

ومن الدلالات الإيجابية التي تفهم من سياقات أخوة النسب، الدلالات التالية:

١ـ **قوة أخوة النسب،** فهي أقوى أنواع الأخوة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، وتأتي الدلالة على هذه القوة من جهات، كما يلي:

أ ـ أنها تترتب عليها حقوق وواجبات أوسع وآكد مما يترتب على غيرها من الأواصر والروابط، فنجد القرآن يخصها في معرض تعاطي الحقوق والواجبات المادية والمعنوية: فمن ذِكْرها في معرض الحقوق المادية، قوله تعالى: {فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ} النساء:١١، وقوله: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ} النساء:١٧٦، وقوله:{وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً أَو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن

كَانُوَاْ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاء فِي الثُّلُثِ} النساء:١٢، وفي هذا بيان أكيد لقوة هذه الرابطة وتقديمها على غيرها في التوارث الذي هو من أخص ما يكون بين الناس.

ومن ذِكْرها في معرض عموم الحقوق: ما جاء عن التأكيد لتولي ذوي الأرحام بعضهم بعضا، والأخوة بلا شك من أقوى أواصر الرحم، قال تعالى: {وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ} الأنفال:٧٥، والأحزاب:٦. وفي هذا تأكيد وتعزيز لمنزلة الأخوة من النسب في تعاطي الحقوق والواجبات عموما، وليست الحقوق المادية فقط[٢٤]. والأخوة من النسب تدخل أيضا في مفهوم قوله تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} الحجرات:١٠، فتتأكد حقوقهم من جهات عديدة.

ب ـ أنها جاءت في معرض الاستدلال على أشد المواقف التي يمكن أن تحصل للإنسان يوم القيامة، كما في قوله تعالى: {يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ} المعارج:١٢، وقوله: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ} عبس:٣٤، فالسياق يأتي بهذا المشهد الذي تنقطع فيه الروابط، التي هي أعز روابط عند الإنسان في حياته، ومنها الأخوة، ولا يكون انقطاعها إلا لما هو أشد منها[٢٥]، وقد جاءت هنا للدلالة على شدة ذلك الموقف، ولو كانت هناك رابطة أقوى منها تحدث بين الناس لجاء بها القرآن لبيان تلك الشدة، لأن الموقف موقف بيان شدة القيامة[٢٦]. وهولُه لا يعرف إلا بأن يقارن بشيء يكون له مكانة لا يتصور أن يترك لشيء آخر.

٢ـ أخوة النسب من مرتكزات العون والمناصرة الخالصة، وأن فيها تقوية تعين في تحمل المسؤولية، ويمكن أن نستدل لذلك بقول موسى عليه السلام، {وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي} طه:٢٩ـ٣٢. فموسى طلب وزيرا من أهله: لأن الثقة به أكمل، واختار من الأهل أخاه: لكون الأخ أشفق على أخيه، ولأنه أجدر الأهل بتمام المناصرة[٢٧]. ومما يشهد لهذا المعنى قوله تعالى: {قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ } هود:٩١، ففيه بيان كيف أن القرابة تقوي الجانب وتمنع الاعتداء، ومن ضمن الأقارب هنا: الإخوة.

---

[٢٤] انظر: التحرير والتنوير (٢١/ ٢٧٠)

[٢٥] انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة. (٢١/ ٢٧٠)

[٢٦] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط١(٢٠٠٠م)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة. (ص: ٥٥٩)

[٢٧] انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٢/ ٢٨٤) والتيسير في أحاديث التفسير (٤/ ٦٦)

٣ـ أخوة النسب من أقوى دواعي الحُرمة والاحترام[٢٨]، ومن أقوى دواعي التراحم والتعاطف بينهم، ولذلك فقد جاء النهي عن تعاطي ما يعكّر هذه الرابطة أو يؤدي إلى تصدعها، كما في قوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ... وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ} النساء:٢٣، فهذا التحريم لنكاح الأقارب في هذا المستوى، من أسبابه:

ـأــ قوة الصلة التي تكون بين الإخوة، فَصِلَةُ الأخوة **صِلَة فطرية قوية،** والإخوة والأخوات لا يشتهي بعضهم التمتع ببعض فطرةً، وعاطفة الأخوة لا تبقي موضعا لأي عاطفة أخرى بجوارها- ما سلمت الفطرة-، فصاحب الفطرة السليمة لا يجد في نفسه منفذا لاستبدال داعية الشهوة بعاطفة الأخوة[٢٩].

- ب ــ **إبقاء الاحترام والمحبة الفطرية القائمة بين القرابات قوية ومتماسكة،** فالحياة الزوجية لا تخلو مما يعكرها، والأولى الإبقاء على رابطة القرابة نظيفة والابتعاد عما يعكرها، وفي زواج الإخوة أو في كون إحدى الأختين ضرَّة للأخْرَى موجبٌ للوَحْشَةَ والنُّفْرَةَ، وهذه العلة موجودة في سائر المحرمات من القربى[٣٠].وهو مما تشمئزّ منه النفوس الشريفة والفطر السليمة .

- ج ــ توسيع دائرة الاحترام والتعاطف والتراحم بين الناس، فتحريم الله لنكاح هؤلاء الأقارب لأجل أن تتوجه عاطفة الزوجية ومحبتها إلى من ضعفت الصلة الطبيعية أو النَّسَبية بينهم، كالغرباء والأجانب، والطبقات البعيدة من سلالة الأقارب، فتتسع دائرة الرحمة بين الناس بسبب الاتصال بالمصاهرة[٣١].

٤ـ أُخُوة النسب مدعاة لكثرة التواصل والتزاور والاختلاط، ولذلك كانت هذه المقتضيات - فيها وفي غيرها من القرابات- من أسباب رفع الحرج الذي قد يحصل جرّاء الخُلطة[٣٢]، كما في قوله تعالى: {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ} النور:٣١، وفي

---

(٢٨) (الْحُرْمَةُ) مَا لَا يَحِلُّ انْتِهَاكُهُ . انظر: مختار الصحاح (ص: ٧١)

(٢٩) انظر: تفسير المنار ، تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا (المتوفى : ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م (٥/ ٢٥)

(٣٠) انظر: اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م. (٦/ ٣٠٤)

(٣١) انظر: تفسير المنار (٥/ ٢٦)

(٣٢) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت. (٦/ ١٧٠)

قوله:{لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاء إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاء أَخَوَاتِهِنَّ} الأحزاب:٥٥.

فرفْع الحرج في هذه الآيات هو بَيْن شديدي القرابة، لأن هذه القرابات المذكورة مظنة كثرة الزيارات والتواصل، من حيث الفطرة والعرف.

بل إن أخوة النسب والقرابات الرحمية الأخرى – في حد ذاتها- لشدة الصلة فيها تعتبر بمنزلة الإذن الذي يحتاجه الناس فيما بينهم[٣٣]، كما يفهم من قوله تعالى:{وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ} النور:٦١.

٥ـ أخوة النسب باب لبعض الإفتئات بين الإخوة، من بعضهم على بعض، ففيها نوع من السُّلْطة المتسامَح فيها بين الإخوة، حيث إنها موجبةٌ للتطاوع والمسايرة، بسبب عُمق العلاقة والثقة القائمة بينهم، فيستطيع الأخ أن يعتمد عليها في القيام بتصرف يشمل الإخوة من النسب، من غير أن يشاورهم ولو فيما يخصهم، ولذلك كانت الأخوة معتمدا لموسى في إدخال أخيه هارون معه في طلبه إذْ توجهه لربه عندما أراد مفارقة الفاسقين من قومه، حيث قال:{رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} المائدة:٢٥، فالمعنى: إنني لا أملك أمر أحد أحمله على طاعتك إلا أمر نفسي وأمر أخي، ولا أثق بغيرنا أن يطيعك في اليسر والعسر، والمنشط والمكره[٣٤]، وليس لي سلطان على أحد، غير نفسي وأخي[٣٥]، وبالفعل كان هارون معه في ذلك الحال وفي كل حال.

٦ـ أخوة النسب سبيل للتمسك بالأخ، ودافعٌ قوي لعدم تفريط الأخ بأخيه ـ في الأغلب- فذلك مما تستدعيه الفطرة، ويشهد به الواقع، ويظهر ذلك من أمر أم موسى لأخته بالتقصي والبحث عنه، حيث اعتمدت عليها في معرفة أمره في أحرج المواقف، {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} القصص:١١، وقد قامت تلك الأخت بواجب الأخوة النسبية حق القيام، مع إدراكها لما في ذلك العمل من المخاطرة في ذلك الوقت الذي يتم فيه البحث عمّن له صلة أو قرابة بموسى[٣٦].

وفي قوله تعالى عن يوسف عليه السلام:{قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} يوسف:٩٠، فيه نوع من التوبيخ

---

[٣٣] التفسير الوسيط ـ مجمع البحوث (٦/ ١٤٦٩)

[٣٤] تفسير المنار (٦/ ٢٧٧)

[٣٥] انظر: التفسير الوسيط ـ مجمع البحوث (٢/ ١٠٤٩)

[٣٦] انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت. (١٠/ ٣١٧)

على التفريط بالأخ، فقد بين المفسرون أن في قوله:{وهذا أَخِي} تكملة لما أفاده قوله: {هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه}، فكأنه قال: هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والإذلالِ، فأنا يوسفُ وهذا أخي قد منّ الله علينا بالخلاص عما ابتُلينا به، والاجتماعِ بعد الفُرقةِ، والعزة بعد الذِلة، والأُنس بعد الوحشة. وأيضا: لا يبعُد أنْ يكونَ فيه إشارةٌ إلى الجواب عن طلبهم لرد بنيامين إليهم بأنه أخي لا أخوكم، فلا وجهَ لطلبكم له بعد تفريطكم به، والأخوة الصحيحة هي الخالية من الجفاء[٣٧].

٧ـ **أخوة النسب مدعاة لتجاوز الخلافات التي قد تقع بين الإخوة،** فهي منطلق لرأب الصدع وتجاوز المشكلات، ومدعاة لعدم حمل الأحقاد، ويفهم ذلك من تجاوز يوسف عن إخوته بصورة أسرع من تجاوز أبيه عنهم، حيث قال لهم يوسف من غير تأخير عندما اعترفوا بخطئهم، {لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} يوسف:٩٢، في حين أن أباهم قال: {سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } يوسف:٩٨، فكأن يوسف أراد أن يعلمهم بما ينبغي أن يكون بين الإخوة[٣٨]، ولأن غضب الأب أشد من غضب الأخ على إخوته، مهما حصل بينهم[٣٩]. وقد أكد يوسف عليه السلام هذا المعنى في الأخوة حيث قال: {مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي} يوسف:١٠٠، حيث نسب النزغ إلى الشيطان، وجعل نفسه شريكا فيما حصل منهم، وجعل ما وقع مجرد نزغة عابرة وليست خلقا مستقرا، وعبر بالأخوة الرابطة، فقال: (بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي)، وقد أراد بذلك أن يمحو العداوة بالمودة، وأن تلتئم الجراح[٤٠].

ومما يجيئ في هذا المعنى قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ} ص:٢٣، قيل إن الظاهر أنهما أرادا أُخوة النسب، وقد فرضا أنفسهما أخوين وفرضا الخصومة في معاملات القرابة وعلاقة النسب واستبقاء الصِّلات، فأظهر الخصم المتشكي أنه يحافظ على أواصر القرابة، فشكاه إلى الملك ليصده عن معاملة أخيه معاملة الجفاء والتطاول ليأخذ نعجته عن غير طيب نفس، والخصم المشتكَى به لم ينكر أو

(٣٧) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٣٠٤) وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.د.ت. (٧/ ٧٧)

(٣٨) التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٥/ ٣٨٣)

(٣٩) انظر: تفسير الشعراوي، الخواطر، محمد متولي الشعراوي (١٩٩٧م) مطابع أخبار اليوم. (١٢/ ٧٠٧٤)

(٤٠) انظر: زهرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار النشر: دار الفكر العربي . (٧/ ٣٨٦٢)

يتنصل مما قاله أخوه[٤١]. فهذه الصورة جعلت أخوة النسب مرتكزا لتجاوز الخصومة، ولتقارب النفوس، فتحل المشكلة.

٨ـ أخوة النسب مدعاة للحنان والعطف وحسن الصلة بين الأخوة، ومن ذلك قوله تعالى: {وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يوسف:٦٩، ففي هذا إشارة إلى ما قابل به يوسف إخوته جميعا من كرم الضيافة وحسن الصلة، وإلى ما قابل به أخاه الشقيق بنيامين بالخصوص من عطف خاص، عندما اختلى به وعرفه بأنه هو أخوه يوسف، وطمأنه على مصيره، بقوله (إني أنا أخوك..)[٤٢]. وسبب ذلك التكريم والحنان والصلة الزائدة الأخوة النسبية التي تربطه بهم، مع زيادة ذلك مع بنيامين لازدياد الصلة بينهما.

٩ـ أخوة النسب مدعاة للاعتزاز بها، مع الابتعاد عن الفخر الذي يدعو إلى الكبر والعصبية، وذلك عندما يكون الأخ أهلا لأن يُعتَز به، ويمكن أن نستخلص ذلك من قول يوسف عليه السلام، {أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي} يوسف:٩٠، فقوله: (وهذا أخي) مبالغةً في تعريف نفسه، وتفخيماً لشأن أخيه[٤٣]، وهذا فيه مزيد من إظهار الاحتفاء بهذه الرابطة.

١٠ـ أخوة النسب مدعاة للاتباع وحسن الإصغاء، ولذلك نجد القرآن يذكر عن الأنبياء والرسل أنهم إخوة لأقوامهم، فيقول:{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً} الأعراف:٦٥، {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً} الأعراف:٧٣، {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً} الأعراف:٨٥، وهكذا، وهذه الأخوة إنما يراد بها أخوة النسب وليست في الدين[٤٤]، وقد قيل إخوانهم في القبيلة[٤٥]، وذلك يرجع إلى أخوة النسب، فالقبيلة ترجع إلى أصل واحد.

ثالثا: الدلالات السلبية لِذِكْر أخوة النسب:

قد يكون لإخوة النسب دلالات سلبية، وذلك بحسب السياق الذي ترد فيه، ونستطيع أن ندرك تلك الدلالات السلبية من خلال النقاط التالية:

---

[٤١] التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٣٥)

[٤٢] التيسير في أحاديث التفسير (٣/ ١٩٢)

[٤٣] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٣٠٤)

[٤٤] انظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م. (٤/ ٤٩١) وتفسير البغوي = معالم التنزيل في تفسير القرآن، المؤلف: محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ (٢/ ٢٠٢) و(٢/ ٢٠٦) و(٢/ ٢١٤) وغيرها..

[٤٥] انظر: تفسير القرطبي= الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م. (٧/ ٢٣٥) وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م . (٢/ ٥٥٧)

١ـ عندما تُتخَذ الأخوة النَّسَبية مدخلا للتخذيل والتثبيط عن الحق ونصرته، أو يراد جعلها كذلك بدعوى الحرص على الأخ، فتكون عندئذ باب استغلال ومزايدة لا قيمة له، ويمكن أن يفهم هذا من قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ } آل عمران:١٥٦، وقوله:{الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} آل عمران:١٦٨، فقد قيل إنها في الأخوة من النسب[٤٦]، والضميرُ في قوله: {لَّوْ كَانُواْ عِنْدَنَا} عائد على «إخوانهم»، وهم الذين تقدَّمَ موتُهم بسببِ سفرٍ أو غزو، وقَصْدُهم بذلك تثبيطهم[٤٧]. فانظر كيف استغلوا تلك الأخوة في النفاذ إلى إقناع إخوانهم بالباطل والصد عن الحق. ومثل ذلك المعنى أيضا يجيئ في قوله تعالى:{قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً} الأحزاب:١٨، فقد ورد أنها جاءت في إخوانٍ من النسب، وكيف أن المنافقين كانوا يثبطون إخوانهم عن الجهاد في سبيل الله[٤٨].

وكذلك هو في قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣)قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ..} التوبة٢٣ـ٢٤، فهذا مما نزل في المهاجرين، فإنهم لما أُمروا بالهجرة قالوا إن هاجرنا قطعنا آباءَنا وأبناءَنا وعشيرتنا، وذهبت تجارتنا وهلكت أَموالنا، وخربت ديارنا وبقينا ضائعين، فنزلت: فهاجروا، فجعل الرجل يأْتيه ابنه أَو أَبوه أَو أَخوه أَو بعض أَقاربه فلا يلتفت إليه، ولا ينزله ولا ينفق عليه، ثم رخص لهم في ذلك: والآية عامة الحكم وإن كان السبب خاصًّا[٤٩].

كما أن في الآيات، التي في سورة التوبة، بيان لوجه سلبي في رابطة الأخوة النسبية وغيرها من الصِّلات والروابط إذا وضعت في مقام المقارنة مع رابطة الدين والعقيدة،

[٤٦] انظر: تفسير البغوي (١/ ٥٢٥) والبحر المحيط في التفسير (٣/ ٤٠٠)

[٤٧] انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق. (٣/ ٤٥٢)

[٤٨] انظر: روح المعاني (١١/ ١٦١)

[٤٩] التفسير الوسيط ـ مجمع البحوث (٣/ ١٦٧٧)

ناهيك عن تقديمها عليها[٥٠]. فتصبح تلك الروابط عندئذ ذات وضع أو مدلول سلبي، بل تصبح لا قيمة لها في عرف الدين والحق.

٢ـ عندما تُتخَذ الأُخوة من النسب إطارا للمؤامرة والكيد، فيكون الإخوة غير مأموني الجانب، ويُخاف من كيدهم ومكرهم، في حين أن الأصل أن يكونوا موئل أمان واطمئنان، فتصبح عندئذ مصدر خوف ونقمة، وفي تحذير يعقوب ليوسف عليهما السلام ما يوضح ذلك، قال تعالى: {قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً} يوسف:٥، فهو بنى التحذير على معرفة سابقة، كانت عن مقدمات يلمسها ويحسها، من التآمر على يوسف والكيد له، والظاهر أن إخوة يوسف كانوا بحيث يمكن أن يكونَ للشيطان عليهم سبيل، ويؤيد هذا أنهم لم يكونوا أنبياء[٥١].

٣ـ عندما يفرِّط الإخوة من النسب بأخيهم، ويسارعون في ذلك، يصير ذِكر الأخوة في هذه الحال ضربا من التهكم غير المحبب، بل تصير دليل تهمة ومبررا للسوء والتخلي عن المسؤولية، كما يفيده قوله تعالى: {قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً وَاللهُ أَعْلَمْ بِمَا تَصِفُونَ} يوسف:٧٧، فقد كان غرضهم من هذا القول - فيما يظهر- هو أن يبرئوا ساحتهم، ويلقوا المسؤولية على أخيهم بنيامين شقيق يوسف، مع ادعاء أن أخاه من قبل - يعنون به يوسف - كان قد سبق منه نفس العمل، وكأنهم يريدون أن يقولوا: إن هناك استعدادا نفسيا أو وراثيا خاصا في كل من هذين الأخوين لمثل هذا التصرف[٥٢]. وفي مقالتهم أيضا: تفريط بإخوتهم وتساهل في إثبات التهمة عليهم. ومن طبيعة الأسوياء أن لا يفرطوا بإخوتهم على ذلك النحو الذي وَقَع من أولاد يعقوب، ولذلك استحقوا التوبيخ من العزيز، فقد ذكر بعض المفسرين : أنهم لمَّا قالوا ما قالوه عن يوسف وأخيه، كَرِه يوسف عليه السلام مقالتهم أولاً في نفسه، ثم وبَّخهم على كلامهم في إخوتهم، فقال: (أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً..). ويقوي هذا الرأي: أنهم تَركوا أن يشفعوا بأنفسهم، وعَدلوا إلى الشفاعة بأبيه الشيخ يعقوب عليه السلام، لما قد لحقهم من الخزي بسبب كلامهم في أخويهم[٥٣].

---

[٥٠] انظر: في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب إبراهيم، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ. (٣/ ١٦١٥)

[٥١] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر، للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى. (٧/ ٣١٩) وتفسير الشعراوي (٧/ ٤٣٩١) .

[٥٢] التيسير في أحاديث التفسير (٣/ ١٩٧)

[٥٣] انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية، ط١(١٤٢٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية. (٣/ ٢٦٧) والبحر المحيط في التفسير (٦/ ٣٠٩)

٤ـ عندما تسيطر نوازع الشر والأَثَرة وتطغى على روح الأخوة والمحبة، فتصير الأخوة عند ذلك مصدر تأنيب، ويشير لذلك قوله تعالى:{فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ} المائدة:٣٠، أي: رخصت وسهلت له نفسه. والتصريح بأخوّته: لكمال تقبيح ما سوّلته نفسه تجاه أخيه، الذي حقه أن يحفظه مِن كل مَن قصده بالسوء[٥٤]، ولتقبيح استسلامه لنوازع الشر التي سيطرت عليه فدفعته لقتل أخيه الشقيق، وذلك مخالف للفطرة السوية التي تعلي من شأن رابطة الأخوة[٥٥].

ويصلح الاستدلال هنا بقوله تعالى: {إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ} ص:٢٣، ووجه الدلالة فيه هو في كون الأخ الطامع في نعجة أخيه طغت روح الأثرة عنده على روح الأخوة، وهذا بعكس ما حصل من أخيه صاحب النعجة الواحدة الذي أراد جعل الأخوة أساسا للمحبة والتقارب والإيثار، كما أسلفنا القول في الدلالات الإيجابية.

٥ـ عندما يُنظَر إلى الإخوة والأقارب من جانب التَّبِعات والمصلحة الشخصية فقط، ولا يكون هناك توازن في الحقوق والواجبات، فيرى الشخص أقاربه عبئا عليه، أو يراهم مصدرا لإفادته فقط، فيكون في ذِكر الأخوة والقرابة عندئذ مثل للأنانية المفرطة التي قد يكون عليها بعض الأخوة، وقد يستدل لهذا بما أنبأ القرآن به عما سيظهر من بعض الأشخاص في مواقف القيامة، مثل ما في قوله تعالى: {يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ} المعارج:١١، ١٢، وفي قوله:{يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ} عبس:٣٤، فقد قيل إن المرء يفرّ منهم حذراً من مطالبتهم بالتبعات[٥٦]، فيكره ذلك الشخص أقرباءه، ولا يكون أبغض إليه منهم في ذلك اليوم، ويَفِرّ منهم[٥٧]، بل يتمنى لو يستطيع أن يجعلهم فداء له لينجو هو وحده، فلا ينظر إلا لمصلحة نفسه، وهذا بسبب انحراف في التفكير، أو لفساد في الطبيعة، أو فتور في العلاقة، أو غير هذا مما يغيّر في

---

[٥٤] محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤١٨ هـ. (٤/ ١١٠)

[٥٥] انظر: زهرة التفاسير (٤/ ٢١٢٩)

[٥٦] انظر: تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. (٣/ ٤٢٢) وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ. (٥/ ٢٨٨)

[٥٧] انظر: البحر المحيط في التفسير (٧/ ٥٨٥)

وضع العلاقة الطبيعية بين المرء وأقاربه[٥٨].. وبعض الناس إنما يجعل العلاقة الأخوية أو القرابة عموما، من أجل التفاخر والتعالي في الدنيا، وأنْ يسأل البعض عن أحوال البعض[٥٩]، ولا ينظر إلى امتدادها واستمرارها، فتنقطع في الآخرة، لأنها نظرة منحرفة وغير سوية: {فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ} المؤمنون:١٠١.. ومن هنا كان في هذه الإشارات دفعٌ لتصويب مسار الأخوة والقرابة وِفْق المقاصد الربانية التي أرادها الله تعالى لها.

٦ـ عندما تتعارض الأخوة النَّسَبية مع الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، فإنها تصير ذات دلالة مذمومة، وغير ذات اعتبار في حقيقة الشرع، كما يفيده قوله تعالى:{لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ } المجادلة:٢٢، فالظاهر من النفي المتصدر للآية أن أخوة الدين أثبت من أخوة النسب؛ فأخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين[٦٠]، ولا تعتبر أخوَّة النسب إذا خلت عن أخوة الإسلام[٦١]، خلا الصلة والتراحم والدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه .

المبحث الثاني: سلوك الإخوة من النسب

ذكر الله أنواعا من السلوك الإيجابي والسلبي لإخوة النسب، في مستويات نفسية ومعنوية، ومستويات عملية سلوكية متفاوتة، في قوتها وفي دوافعها، كما هي متفاوتة في دلالاتها وأحكامها وآثارها.

وذِكْرنا لهذه السلوكيات أو دوافعها هنا هو من باب بيان مظاهرها ودوافعها، ولسنا بصدد بيان أحكامها ومستوياتها، فذلك مما يطول بيانه، فقد يكون له بحث آخر.

المطلب الأول: السلوك الإيجابي لإخوة النسب

أولا: مفهوم السلوك الإيجابي لإخوة النسب:

أـ معنى السلوك: السلوك في المعاجم العربية القديمة مصدرٌ يعني :الدخول، والنفاذ[٦٢]، وهو من الفعل (سَلَكَ)، والسِّينُ وَاللَّامُ وَالْكَافُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى نُفُوذِ شَيْءٍ فِي

---

[٥٨] انظر: التفسير القرآني للقرآن (١٥/ ١١٧٠)

[٥٩] انظر: اللباب في علوم الكتاب (١٤/ ٢٥٨)

[٦٠] تفسير القرطبي (١٦/ ٣٢٢)

[٦١] صفوة التفاسير، المؤلف: محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م. (٣/ ٢١٧)

[٦٢] العين (٥/ ٣١١) وتهذيب اللغة (١٠/ ٣٨)

شَيْءٍ، يُقَالُ سَلَكْتُ الطَّرِيقَ أَسْلُكُهُ، وَسَلَكْتُ الشَّيْءَ فِي الشَّيْءِ: أَنْفَذْتَهُ[٦٣]. وقد تطور معنى السلوك كمصدر، من المحسوس إلى المعنوي، ومن الضيّق إلى الأوسع، ليدل على سيرة الْإِنْسَان ومذهبه واتجاهه، ولذلك يُقَال فلَان حسن السلوك أَو سيء السلوك[٦٤].

ب ـ معنى الإيجابي: من حيث اللغة: في المعاجم العربية القديمة لم أجد معنى "الإيجابي"، وإنما وجدت معنى "الإيجاب" من الفعل "وَجَبَ"، و "أَوْجَبَ" وهو للدلالة على الوُجُوبُ، بمعنى الثُّبُوتُ أو اللُّزُوم، أو للدلالة على الاستحقاق، أو على السقوط، وغير ذلك من المعاني التي لا علاقة لها بصورة مباشرة بما نعنيه بالإيجابي في وقتنا الحاضر[٦٥].

وفي اتجاهٍ فلسفي لمعنى "الإيجاب" في معاجمَ أحدث، فقد قيل إن معناه: هو إيقاع النسبة الثبوتية[٦٦]، أو إثباتها[٦٧]، بمعنى: إثبات حالة معينة لشيء معين، أو أن معناه هو نفس معنى قوله افعل[٦٨]. وقد وجدتُ معنى "الإيجابي" يقترب مما نقصد إليه في عصرنا في معجم اللغة العربية، حيث يظهر فيه: أن الإيجابيّ اسم مفرد، وهو منسوب إلى إيجاب، وعكسه السلبيّ، ويطلق على الشخص وعلى الوصف وعلى العمل[٦٩].

ـ ومن حيث الاصطلاح يمكن تعريف "الإيجابي" من خلال ما جاء في معجم اللغة العربية بأنه: كلُّ ما يصدُر من أمور ناجحة، أو كل ما له قيمة موجبة[٧٠].وبناء عليه فيمكن أن نقول إن مفهوم السلوك الإيجابي لإخوة النسب هو: السيرة والطريقة الناجحة، وذات القيمة الموجبة، التي يتسم بها التعامل بين الإخوة من النسب، والتي تؤدي إلى تحسن

---

(٦٣) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٩٧) والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت. (١/ ٢٨٦)

(٦٤) انظر: المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وآخرون، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، استانبول، تركيا (١/ ٤٤٥) ومعجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر ط١(٢٠٠٨ م)، عالم الكتب. (٢/ ١٠٩٧)

(٦٥) انظر: تاج العروس (٤/ ٣٣٣ـ ٣٣٩) مادة: وَجَب.

(٦٦) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط١ (١٩٨٣م)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية. (ص: ٤١) وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م (١/٩٦٥).والكليات (ص: ٥١٢)

(٦٧) الكليات (ص: ٢١٨)

(٦٨) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. (١/ ٧٠٠)

(٦٩) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٤٠٠)

(٧٠) معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٤٠١)

العلاقة وقُوتها بينهم. وفي هذا الإطار نجد للأعمال الأخلاقية الإيجابية في الفلسفة الإسلامية ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: هي الحد الأدنى من الواجب، وهو الذي يجب أن يقوم به كل واحد تجاه الآخرين.

المرتبة الثانية: هي مساحة مفتوحة لكل واحد للمسابقة في الازدياد منها. وهذا يكون في دائرة المندوبات.

المرتبة الثالثة: هي الحد الأقصى الذي ينهى الإنسان عن تجاوزه بمخالفة قوانين الحياة الضرورية[٧١].

وكلها مراتب إيجابية، إلا أنه ينبغي للإنسان أن ينضبط في إيجابيته بضوابط الشرع وإلا تحوّل الحال إلى سلبي، ولو كان في الجانب الإيجابي.

ثانيا: مظاهر السلوك الإيجابي لإخوة النسب:

ذكر الله أنواعا من السلوك الإيجابي لإخوة النسب، في كتابه الكريم من خلال بعض النماذج والإطلاقات، ويمكن أن نجمل مظاهر السلوك الإيجابي لإخوة النسب فيما يلي:

١ـ **التفاهم**، وقد ذكر الله عن الأنبياء والرسل أنهم جاءوا من نسب القبائل والشعوب التي أرسلوا إليها، وفي ذلك بيان للأساس الذي ينشئ بينهم نوعا من التفاهم، الذي هو أقوى وأفضل مما لو كان الرسول من غيرهم. قال الزمخشري في تفسيره: وإنما جعل واحداً منهم، لأنهم أفهم عن رجل منهم وأعرف بحاله في صدقه وأمانته[٧٢].

ثم إن الإخوة بينهم من الأواصر ما يجعل التفاهم بينهم هو الأصل، والاختلاف والشقاق حالة عابرة، ولذلك نجد أن الإصلاح بين المتخاصمين يرتكز على الأخوة، فهي أساس في التقريب بينهم، كما يرشد إليه قوله تعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ}** الحجرات:١٠، أي أن المؤمنون كلهم وإن تباعدت أنسابهم وبلادهم إخوة في الدين، لانتسابهم إلى أصل واحد هو الإيمان، ولما كانت الأُخوة داعية -ولا بدّ- إلى الإصلاح تسبب عنها قوله تعالى: {فأصلحوا بين أخويكم}، أي: كما تصلحون بين

---

(٧١) علم الأخلاق الإسلامية، المؤلف: مقداد يالجن محمد علي، الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م. (ص: ٢٣٩)

(٧٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ط٣(١٤٠٧ هـ)، بيروت، دار الكتاب العربي. (٢/ ١١٦)

أخويكم من النسب[٧٣]، إذ أن أواصر الأخوة تدعو إلى الصلح وتسهّله، ومن لوازم الأخوة أن يصطلح الإخوة.

وقد قيل إن المقصود بالأخوين في الآية: الأوس والخزرج، وسُميا أخوين لاجتماعهما في الجد الاعلى[٧٤].

٢- الحنان والتعاطف، ويتجلى العطف والحب بين الإخوة، من خلال ما جرى بين يوسف وإخوته، وبينه وأخيه بنيامين عندما التقيا، كما في قوله تعالى:{**وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**} يوسف:٦٩ ، ففي ذلك إشارة إلى ما قابل به يوسف إخوته جميعا من كرم الضيافة وحسن الصلة، وإلى ما قابل به أخاه الشقيق بنيامين بالخصوص من عطف خاص[٧٥].

ويتجلى بروز الحنان والعطف بين الإخوة كذلك في مخاطبة هارون لأخيه موسى عليهما السلام، {**قَالَ ابن أُمَّ إِنَّ القوم استضعفوني وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي**} الأعراف:١٥٠. فهذا خطاب فيه تحنين كبير لأخيه، قال الإمام السعدي: هذا ترقيق لأخيه، بذكر الأم وحدها، وإلا فهو شقيقه لأمه وأبيه[٧٦]. وقال ابن عاشور: اختيار التعريف بالإضافة لتضمن المضاف إليه معنى التذكير بصلة الرحم، لأن أخوة الأم أشد أواصر القرابة لاشتراك الأخوين في الإلف من وقت الصبا والرضاع[٧٧].

ويمكن الاستدلال في هذا المقام أيضا: بالقياس الذي توصل به القرآن إلى التعاطف مع الأيتام، كما هو في قوله تعالى: {وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ} البقرة:٢٢٠، فالله تعالى وصف الأيتام بالإخوة لغيرهم من المؤمنين، ليكون ذلك أدعى للتعاطف معهم، وأبقى في حفظ أموالهم، ومع أن المقصود هنا الأخوة في الدين، إلا أن وصف (الأخوّة) يقتضي

---

[٧٣] السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي ، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥ هـ. (٤/ ٦٦)

[٧٤] انظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، دار النشر: دار صادر – بيروت. د. ت. (٨/ ٧٧)

[٧٥] التيسير في أحاديث التفسير (٣/ ١٩٢)

[٧٦] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٠٤)

[٧٧] التحرير والتنوير (٩/ ١١٧)

مزيدا من العطف والتكافل بين الإخوة[٧٨]، وخاصة إذا علمنا أسباب نزول الآية[٧٩]، فقد جاءت للترغب بالمخالطة، ولترفع الحرج باعتبار حُكمهم في ذلك حكم الإخوة من النسب[٨٠]، ولا شك أن تعاطف الأخ مع أخيه من النسب وحنانه عليه يحمله على تثمير ماله والمحافظة عليه كَمالِه، فكان القياس على الإخوة من النسب مدخلا للترغيب في مخالطة أموال الأيتام والتعاطف معهم.

٣ـ التعاون، والأمان من المخاوف، كما يتبين من قوله تعالى: {**وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي**} طه:٢٩، ٣٠، والمعنى: واجعل لي موازرًا ومعينًا من أهلي أَقرب الناس إِلَيّ، وهو هارون أخي، ليحمل معي أَعباءَ الرسالة، من الوِزْر بكسر الواو وسكون الزاي، بمعنى الحمل، ويجوز أن يكون المعنى: واجعل لي هارون أَخي ملجأً أَلجأُ إليه وأَعتصم به عند الشدائد، والمكاره، من الوَزَر بفتح الواو والزاي، بمعنى الملجأ، .. والمقصود من هذا الدعاءِ، أن يجعلهما الله تعالى متعاونين في تبليغ الرسالة إلى فرعون وقومه، وإلى بني إسرائيل[٨١].

٤ـ المشاركة، فالأخ يحب أن يشاركه أخوه في ما وصل إليه من الخير والنعمة، ومن هنا نجد يوسف عليه السلام، يشرِك أخاه بنيامين في النعمة التي منّ الله بها عليه، حيث يقول: {**أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا**} يوسف:٩٠، فهو يشرك أخاه في النعمة بالقول وبالفعل، وهذا عُرِف من النعمة التي رآها إخوته عليهما، ولذلك أكد يوسف ذلك الحال بقوله (وهذا أخي) ليلفتهم إلى حاليهما[٨٢]، ثم يُشرِك إخوته في النعم التي أعطاها الله له، فيقول: {ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ} يوسف:٩٩، فقوله: (ادْخُلُوا مِصْرَ) معناه: تمكنوا واسكنوا واستقروا، لأنهم قد كانوا دخلوا عليه[٨٣]، و(آمنين) يعني: من جميع المكاره والمخاوف، فدخلوا في هذه الحال السارة، وزال عنهم النصب ونكد المعيشة، وحصل السرور والبهجة[٨٤].

---

[٧٨] التيسير في أحاديث التفسير (١/ ٣٠٦)

[٧٩] انظر: تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م . (٤/ ٣٤٩)

[٨٠] انظر: زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ. (١/ ١٨٦)

[٨١] التفسير الوسيط ـ مجمع البحوث (٦/ ١٠١٨)

[٨٢] انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٧٥)

[٨٣] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٢٨١)

[٨٤] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٠٥)

وفي قصة موسى وهارون عليهما السلام يذكر القرآن الكريم كيف أن موسى طلب من الله أن يشرك معه أخاه هارون في النبوة والرسالة، كما في قوله تعالى:{وأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي} طه: ٣٢، وقد جاءت قراءة أخرى: (وأُشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) بضم الألف من أشركه، بمعنى الخبر من موسى عن نفسه، أنه يفعل ذلك، لا على وجه الدعاء[٨٥].

٥- النصرة، والمؤازرة، وقد قيل في قوله تعالى: {ذرية بعضها من بعض} آل عمران: ٣٤، قالوا: بعضها من بعض في التناصر[٨٦]. وفي الحديث الصحيح قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما»[٨٧]، وهذا الحديث وإن كان كما قال كثير من شراح الحديث: أن المراد به الأخ في الدين[٨٨]، فلا مانع أيضا أن يشمل الأخ من النسب إذا كان مسلما مؤمنا، فهو أخ في الدين وأخ في القرابة، ومن البدهي هنا أن يكون التناصر وفق ما هو معلوم، من اتباع الحق وتوخِّيه، والبعد عن العصبية الجاهلية.

وكل حقوق المسلم على المسلم تطلب كذلك مع الأخ المسلم من النسب، وبصورة أقوى؛ لأن له حقان: حق القرابة وحق الدين. والأخوتان تدعوان إلى التواصل والتراحم والتناصر في جلب الخير، ودفع الشر[٨٩].

---

[٨٥] انظر: تفسير الطبري = جامع البيان (١٨/ ٣٠١) والتحرير والتنوير (١٦/ ٢١٣) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ. (٥/ ٢٥٠) و(٢١٢/٦) دعوة الرسل عليهم السلام، المؤلف: أحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م. (ص: ٢٩٣).

[٨٦] تفسير البغوي (١/ ٤٣١).

[٨٧] الحديث في صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ. (٣/ ١٢٨) رقم:٢٤٤٣.

[٨٨] انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري= شرح القسطلاني، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ ه. (١٠/ ١٠٢) وفي فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ه. (٣/ ٥٨) رواية "أعن أخاك في الدين" ولم أجد تخريجه بعد البحث والتقصي.

[٨٩] انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (١٣/ ٣٠٩).

٦ـ **المناصحة،** فالروابط الاجتماعية قائمة على أساس التناصح والتكافل، والتراحم والتعاون، لتقوية بنية الأمة[٩٠]. وهذا كسابقه أيضا في أن الأخ من النسب يدخل فيه باعتباره مسلما، وهو في حقه أشد طلبا، كما قلنا.

٧ـ **التحمُّل والعفو والمسامحة،** في سبيل إبقاء الأخوة، ومثال ذلك ما كان من يوسف عليه السلام حيث تحمل ما كادَه به إخوتُه، ولم يحمل في نفسه حقدا ولم يبادر إلى الانتقام عندما قدر عليهم.

ومن التحمل للأخ ما حصل من هارون عليه السلام، عندما أنَّبه واشتد عليه أخوه موسى عليه السلام، ومع ذلك صبر له في وقت فورة الغضب، وغفر له ولم يؤاخذه على ما بدر منه تجاهه.

٨ـ **عدم المبادرة إلى الخطأ في حق الأخ،** بل محاولة النصح وإبعاد الأخ عن التورط في خطأ تجاه أخيه، وهذا ما يفهم من قول ابن أدم لأخيه: {**لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ**} المائدة:٢٨. المعنى: لئن بسطت إليَّ يدك - على سبيل الظلم والابتداء - لتقتلني، ما أَنا بباسط يدي إليك، على وجه الظلم والابتداء[٩١].

٩ـ **التواصل،** وهذا شيء أمر الله به، فالإخوة هم في الأصل من أولي الأرحام، والله أمرنا بصلة الأرحام، وأمر بالبر بالرحم، وكذلك جاءت الأوامر بصلتها في السنة النبوية.

ثالثا: دوافع السلوك الإيجابي لإخوة النسب:

وإذا حققنا النظر في الدوافع إلى السلوك الإيجابي من خلال ما جاء في القرآن الكريم، سنجد أن تلك الدوافع تتمحور حول الآتي :

١ـ **الإيمان بالله تعالى،** وتحقيق ذلك الإيمان، ولذلك عندما يقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} الحشر:٩، نجد أن الآية وصفت المذكورين بصفة هي قمة الإيجابية، وهي الإيثار مع الأخ في الدين، فكيف إذا انضاف إلى ذلك أخوة النسب. فعند ذلك يصير الدافع إلى الإيجابية أقوى، فالمؤمنون إخوة.

٢ـ **الاتصال في الرَّحِم، والقيام بحقها،** فالله تعالى يقول: {وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ} الأنفال:٧٥، والأحزاب:٦. والولاية هنا عامة، فهي تشمل كل

---

[٩٠] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ. (٤/ ٢٢١).

[٩١] التفسير الوسيط ـ مجمع البحوث (٢/ ١٠٥٣).

ما يحتاج إليه المسلمون فيما بينهم من تعاون وتناصر وتكافل وتوارث وغير ذلك[٩٢].. والرحم دافع فطري للولاء وللتعاطي الإيجابي معها، وأيضا البر بالرحم مأمور به دينا أيضا، وكلما كان الإخوة قائمين بحق الأرحام، كان التواصل الإيجابي بينهم أقوى وأكثر.

وقد كانت الصلة الرَّحِمية هي التي استحثها المظلوم من الخصمين الذَيْن دخلا على داوود عليه السلام، حيث قال: {إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً} ص:٢٣، والظاهر أنه أراد أخاه من النسب، والخصومة في معاملات القرابة وعلاقة النسب واستبقاء الصِّلات. والمعنى: أنه سأله أن يعطيه نعجته، ولما رأى منه تمنعا اشتد عليه بالكلام وهدده، فأظهر الخصم المتشكي أنه يحافظ على أواصر القرابة فشكاه إلى الملك ليصده عن معاملة أخيه معاملة الجفاء والتطاول ليأخذ نعجته عن غير طيب نفس. وبهذا يتبين أن موضع هذا التحاكم طلب الإنصاف في معاملة القرابة لئلا يفضي الخلاف بينهم إلى التواثب فتنقطع أواصر المبرة والرحمة بينهم[٩٣].

وفي هذه اللفتة الأخيرة - أيضا- دلالة على أن تعاطي الحقوق بين الإخوة دافع كبير للتعامل الإيجابي بينهم، فكأن القائل: (إِنَّ هَذَا أَخِي) يريد القول: إن الأخوة ينبغي أن تكون دافعا للتعامل الإيجابي والمحبة، وإنما تدوم بتعاطي الحقوق فيما بين الإخوة، وإن الاستئثار بحق الأخ واجتلاب النفع للنفس دونه ليس من شأن التحاب بين الإخوة والإنصاف بينهم[٩٤].

وحتى إن الله سبحانه وتعالى عظّم شأن الرحم وجعل وصلها من شأن التقوى[٩٥]، التي هي كمال الإيمان، فقال تعالى: {وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ} النساء:١، وجعل قطع الرحم من أمور الجاهلية الفاسدة التي تسبب الضعف والتدابر[٩٦]، فقال:{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ} محمد: ٢٢.

٣- الخوف من الله تعالى، والخوف من تحمل الاثم، وهذا يرشد إليه ما قاله ابن آدم الصالح لأخيه، حيث علل عدم التصرف السلبي تجاهه بقوله:{لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ} المائدة:٢٨، ٢٩، يقول الأخ الصالح لأخيه: لئن مَددتَ إلى يدك لتقتلني، ما أَنا بباسط يدي إليك لأَقتلك، لأَنِّي أَخاف عقوبة الله رب العالمين إن أنا قتلتك. والخائف لله لا

---

[٩٢] التفسير الوسيط لطنطاوي (٦/ ١٦٧).

[٩٣] انظر: التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٣٥).

[٩٤] انظر: التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٣٦).

[٩٥] انظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٧/ ٥٢١)

[٩٦] انظر: التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٩/ ٩٦٥)

يقدم على الذنوب، خصوصا الذنوب الكبار، يريد بمَا قاله: أَن يوقظ ضمير أَخيه، ليخاف عقاب الله تعالى، كما يخافه هو، أخبره بذلك ليعدل عما أَقسم عليه، من قتله بدافع الحقد الذي لا مبرر له[٩٧].

٤ـ ترك المعاتبة على الخطأ، وعدم التذكير به، والمسامحة، خصوصا في مقام التوبة، كما حصل من يوسف عليه السلام، عندما التقى إخوته، وقالوا له {تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ} يوسف:٩١، فهذا اعتراف بالخطأ، ولكن يوسف عليه السلام أراد تأكيد الموقف الإيجابي فبادر بمغفرة ذلك لهم، وقال: {لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} يوسف:٩٢، فيوسف عليه السلام لم يثرِّب عليهم، ولم يوبخهم ولم يعيّرهم، استبقاء لود الأخوة[٩٨]. ومعنى (لا تَثْرِيب عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ)، أنه في اليوم الذي بدا نصر الله، وإعزازه لمن كنتم تريدون له الضياع أو الهوان، والرق، فإن ذلك يكفيكم عبرة، وبيانا لسوء مغبة أفعالكم، وأحقادكم، فلا توبيخ أكثر من معرفة النتيجة، ولكن بدل التوبيخ واللوم، محبة الإخوة، ومودة الأهل[٩٩].

٥ـ العاطفة الأخوية، فالأخ يحتاج أن يذكره أخوه بأخوّته وبما يجمع بينهما من أواصر الرحم والقربى، فذلك يجعله يعطف على أخيه، وهذا ما يظهر من قول هارون لموسى عليه السلام عندم قال له: {يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي} طه:٩٤، ترفّق له بذكر الأم مع أنه شقيقه لأبويه، لأن ذكر الأم هاهنا أرق وأبلغ في الحنو والعطف[١٠٠]. وقريب من هذا ما أشرنا إليه سابقا في كلام أحد المختصمَين إلى داود عليه السلام، عندما قال: {إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً} ص:٢٣، ففي ذكره له بصفة الأخ استعطاف وتذكير بالأخوة والقرابة. فكل هذا الاستعطاف للأخ لا عيب فيه ولا نقص، فالأخوة تستحق أكثر من ذلك[١٠١].

(٩٧) انظر: التفسير الوسيط ـ مجمع البحوث (٢/ ١٠٥٢) وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٢٩)
(٩٨) انظر: فتح القدير (٣/ ٦٣)
(٩٩) انظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٨٥٦)
(١٠٠) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٧٤)
(١٠١) انظر: التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٣٤)

المطلب الثاني: السلوك السلبي لإخوة النسب

أولا: مفهوم السلوك السلبي لإخوة النسب:

ـ من حيث اللغة : ذكرتُ في المطلب السابق أن السلوك يعنى الطريقة والسيرة التي يُتعَامَل بها.

وأما معنى "السلبي": فقد جاء في اللغة من الفعل (سَلَبَ)، والدلالات اللغوية لمشتقات الفعل (سَلَبَ) تأتي في إطار واحد يدل على تصرفات غير محمودة، كأخذ الشيء بطريقة مذمومة، أو التخلي عنه، أو الاستسلام والتخاذل والتواني[١٠٢].

ـ وفي الاصطلاح يمكن أن نعرّف "السلبي" بأنه: حَالٌ نفسية تُؤدِّي إِلَى البُطء والتردد فِي الْحَرَكَة، وَقد تَنْتَهِي إِلَى توقفها، وَيطلق أَيْضا على اتجاه عَام يقوم على الإضراب وَعدم التعاون[١٠٣].

وعليه فمفهوم السلوك السلبي لإخوة النسب، هو: التصرفات المذمومة، وغير المقبولة، الظاهرة والباطنة، والتي تؤدي إلى سوء العلاقة، أو إلى انقطاعها بين الإخوة.

ثانيا: مظاهر السلوك السلبي لإخوة النسب:

نستطيع أن نعرِف مظاهر السلوك السلبي بين الإخوة من خلال النظر في القرآن الكريم، وخاصة من النظر في المواقف والقصص التي جاءت في بيان العلاقات بين الإخوة، ويمكن أن نجمل مظاهر السلوك السلبي بين الإخوة فيما يلي:

١ـ الشماتة، وهذا من سلوك النفاق، وقد ذكر الله ذلك عن المنافقين شماتتهم بإخوانهم الذين خرجوا للقتال في سبيل الله ولم يطيعوا ما أمرهم به إخوانهم المنافقون، كما هو في قوله تعالى عن ذلك: {لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ} آل عمران:١٥٦، وقوله:{الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} آل عمران:١٦٨، فقد قيل إن الإخوة هنا يراد بها أخوة النسب، وأن القائلين هم من المنافقين[١٠٤]، وقولهم هذا يدل على خبث نفوسهم، وانطماس بصيرتهم وجهلهم بقدرة الله ونفاذ إرادته، وشماتتهم فيما حل بالمسلمين من قتل

---

[١٠٢] انظر: معجم مقاييس اللغة (٣/ ٩٢) والعين (٧/ ٢٦١) والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ١٤٨) وغيرها.

[١٠٣] المعجم الوسيط (١/ ٤٤١)

[١٠٤] انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ٤٥) وتفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٦ م. (٤/ ١٠٧)

وجراح يوم أحد[١٠٥]، ومن ضمنهم إخوتهم من النسب الذين هم من المسلمين، وكون الشماتة بالأخ من سلوك النفاق فذلك مدعاة للبعد عنه.

٢- التثبيط والإعاقة عن الخير، وهذا أيضا من سلوك النفاق، وقد أخبر الله عن المنافقين أنهم يستغلون رابطة الأخوة لتعويق إخوانهم عن الجهاد في سبيل الله، كما قال تعالى: {قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً} الأحزاب:١٨، فقد روي أن جماعة من المنافقين كانوا يعوقون الناس عن نصرة الرسول ويمنعونهم بالأقوال والأفعال.. قيل كانوا من المنافقين، يقول لإخوانهم في النسب والقرابة هَلُمَّ إِلَيْنا، أي إلى المنازل والأكل والشرب وترك القتال[١٠٦]. وقد كان ذلك منهم استغلالا سيئا لقرابة الأخوة، وهو سلوك ينبغي أن لا يفعله المؤمن.

٣- المكر والكيد، وهو سلوك قد يقع من بعض الإخوة لبعض، كما جرى من إخوة يوسف له، وقد سجلت ذلك سورة يوسف، وكيف أنهم كادوا لأخيهم ومكروا به، بل سجلت السورة عليهم أنهم تآمروا على قتله. وقد بينت السورة عاقبة ذلك السلوك ومَساءته.

٤- التفريط بالأخ، وعدم الوقوف بجانبه، بل واتهامه أيضا، وهذا ما أشارت إليه سورة يوسف أيضا، عندما تكلمت عن موقف الإخوة من بنيامين، وكيف أنهم أقروا بتهمته بالسرقة بتلك السرعة، بل لقد أكدوا التهمة عليه من خلال قياسهم الباطل بأنه يشبه أخاه يوسف الذي سرق من قبل، كما قال تعالى: {قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً} يوسف:٧٧، فهذا تفريط منهم بأخيهم، حيث لم يقفوا بجانبه مع أنهم يعرفون سريرته، وأنه لا يمكن أن يكون سارقا، ولكنهم أرادوا نجاة أنفسهم ولو على حساب أخيهم، ويؤيد هذا أنهم استدلوا على رأيهم باتهام يوسف أيضا بالسرقة وهو بَرَاء، وقد أشرت لذلك من قبل[١٠٧].

٥- العتاب غير المتوازن، والمؤاخذة على غير تقصير، ويتضح هذا السلوك مما قام به موسى مع أخيه هارون عليهما السلام، عندما استخلفه على بني إسرائيل لما ذهب لميقات ربّه، فلما رجع موسى وقد نقض قومُه العهد واتخذوا العجل، عاتب هارون عتابا شديدا، وقد عبر الله عن ذلك في كتابه فقال: {**وَأَلْقَى الألْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**} الأعراف:١٥٠، وفي قوله:{قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا، أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي، قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ

[١٠٥] التفسير الوسيط لطنطاوي (٢/ ٣٣٣)

[١٠٦] انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٧٥)

[١٠٧] انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٣٠٤) وروح المعاني (٧/ ٧٧)

بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي} طه: ٩٢ـ ٩٤. فبين له هارون عذره وعدم تقصيره، ولكن بعد أن اشتد عليه موسى، وقد ندم موسى عليه السلام بعد ذلك على ما استعجل من صنعه بأخيه قبل أن يعلم براءته، مما ظنه فيه من التقصير[١٠٨].

٦ـ الخصومة، وهذا ما عبر عنه قوله تعالى: {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ..} ص:٢١، فهذه القصة بينت ما قد يقع من تخاصم بين الإخوة لأسباب بشرية، وهو سلوك سلبي يتنافى مع الأخوة العامة، فضلا عن الأخوة من النسب[١٠٩].

٧ـ القتل، وهو أبلغ ما يمكن وقوعه من سلوك سلبي سيء من الأخ تجاه أخيه، وقد ذكر الله نموذجين عن ذلك في كتابه:

الأول: في التآمر على قتل الأخ، ولم يحصل تمكنٌ من القتل. وهو ما وقع من إخوة يوسف على يوسف، ولكنهم لم يتمكنوا من قتله، بل ألقوه في الجب، والإلقاء في الجب لا يقل عن القتل، وإن كان فيه شيء من الأمل بالنجاة.

والثاني: في إنفاذ قتل الأخ، وهذا ما كان من قتل أحد ابني آدم لأخيه، الذي يبينه قوله تعالى: {فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ} المائدة:٣٠، والآيات تبين كيف أن دواعي الشر تغلبت على داعية الأخوة في نفس القاتل[١١٠].

ثالثا: دوافع السلوك السلبي لإخوة النسب:

أشار القرآن الكريم إلى أن الدوافع إلى السلوك السلبي تجاه الإخوة، هي دوافع شيطانية أو نفسية، أو دنيوية أو دينية، وقد تكون عميقة ذات منبع فاسد، وقد تكون سطحية غير متجذرة، وتلك الدوافع تتلخص في الدوافع التالية:

١ـ ضعف الإيمان أو انعدامه، وهذا في عمومه وارد في كثير من الآيات القرآنية، ولكن في سياق بحثنا نجده في قصة الخصمين الذَين دخلا على داود عليه السلام، يقول تعالى: {وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ} ص:٢٤.

---

[١٠٨] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٠٤)

[١٠٩] انظر: التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٣٥)

[١١٠] انظر: تفسير المنار (١٠/ ٢٠٥)

٢ـ الحسد، وهو عامل نفسي يتغذى بتزيين الشيطان وحب الدنيا، وقد أشار القرآن إلى أنه كان وراء كيد إخوة يوسف ليوسف، ووراء قتل ابن آدم لأخيه، وقد يطغى الحسد على كل عاطفة فيكون هو الدافع لسلوك السوء(١١١).

٣ـ البغي، والطمع، والظلم، وتوهُّم عدم الاستحقاق، وهذا ما ذكره القرآن أنها أسباب للخصومة بين الإخوة، بل بين الناس، كما في قوله تعالى: {قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ} ص:٢٤، فيصيرون أعداء بسبب البغي وعدم الإنصاف(١١٢). فهذا الأخ يبغي على أخيه ويقول له أكفلني نعجتك، فأنت لست كفؤا للقيام عليها، ولو أعاد النظر لعلم أن قوله ذاك لأخيه إنما هو بغي وطمع وظلم ليس إلّا.

٤ـ فراغ النفس من الخوف من الله، وهذا ما أشارت إليه قصة ابني آدم، حيث قال الصالح منهما، {لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} المائدة:٢٨، فالخوف من الله دافع للامتناع عن التعدي والقتل، ولكن بعض النفوس لا تخاف الله مهما خوفتها به، ولذلك فإن ابن آدم لما رأى أخاه مصرا على قتله، ولم يتأثر لتخويفه من الله، انتقل إلى تذكيره بعذاب الآخرة، فقال: {إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ} المائدة:٢٩، ولكن هذا التذكير لم ينفع فيه كذلك؛ لتمكن داعي الشر في نفسه، فقتل أخاه، فمن أجل ذلك ذكر الله أنه لا بد لبعض النفوس من رادع حسي يقع عليها، فقال تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ..} المائدة:٣٢، فهذا العقاب مترتب ذكره هنا تعليقا على طبيعة بعض النفوس الخبيثة التي قد تمكن منها الشر، فلا يردعها غير العقاب الشديد القاسي(١١٣).

٥ـ تسويلات النفس الأمارة بالسوء، وهذا يشهد له قول يعقوب عليه السلام لبنيه عندما كادوا ليوسف، وعندما فرطوا في بنيامين: {بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً} يوسف:١٨، ٨٣. وأيضا يشهد له قوله تعالى عن القاتل من ابني آدم:{فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ} المائدة:٣٠، والتَّسْوِيلُ هو: تزيين النّفس لما تحرص عليه، وتصوير

(١١١) انظر: تفسير المنار (١٠/ ٢٠٥) وزهرة التفاسير (٧/ ٣٧٨٣)

(١١٢) انظر: محاسن التأويل (٨/ ٢٤٧)

(١١٣) انظر: تفسير المنار (٦/ ٢٨٤) والتيسير في أحاديث التفسير (٢/ ٤٩)

القبيح منه بصورة الحسن[١١٤]، وكذلك هو معنى التطويع في قوله" فطوّعت"، فالتطويع هو التسهيل والتزيين للفعل حتى يأتيه طَوْعًا[١١٥]. فكيد إخوة يوسف كان مبدؤه دافع نفسي، وكذلك هو قتل ابن آدم لأخيه. فالنفس الأمارة بالسوء لم تزل تأمر بالسوء في حق الأخ حتى سهل فعله[١١٦].

٦- نزغات الشيطان، وهذا مثلما قال يوسف عليه السلام، {وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي} يوسف:١٠٠، فهذه إحالة من يوسف على الشيطان فيما قام به إخوته من الكيد، فللشيطان نزغات وتسويلات يدفع بها الإنسان إلى السلوك السلبي على مستويات عديدة، منها النزغ بين الإخوة كما في قول يوسف عليه السلام[١١٧].

٧- الغضب الشديد، والتعجل في تقدير الأمور، وهذا يظهر دليله من مؤاخذة موسى لأخيه هارون مؤاخذة شديدة، قبل أن يتثبت من الوقائع، كما في قوله تعالى:{وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الألْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ} الأعراف:١٥٠، {ما منعك إذ رأيتهم ضلوا، أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي} طه:٩٢، ٩٣. وفي هذا تعنيف شديد لهارون واتهام بالتقصير، بسبب الغضب الذي كان عليه حال موسى في ذلك الوقت[١١٨].

٨- التمييز بين الإخوة، وهذا يقع من الآباء، وهو جانب مما دعا إخوة يوسف للكيد له بكل تلك القسوة، قال تعالى: {إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ..} يوسف:٨. وأخطر شيء على الأسرة أن يميّز الأبوان بعض الأولاد على بعض

---

[١١٤] المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني، دار العلم والدار الشامية، دمشق ـ بيروت، ١٤١٢ هـ، ت : صفوان عدنان داودي. (ص: ٤٣٧)

[١١٥] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر:، بين: ١٩٧٣ م و١٩٩٦م. (٣/ ٥١٩)

[١١٦] انظر: تفسير المنار (١٠/ ٢٠٥)

[١١٧] انظر: تفسير الشعراوي (١٤/ ٨٦١٣)

[١١٨] انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٠٤) وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ٨٠)، وليس في ذكر هذه النقطة من دوافع السلوك السلبي طعنا على موسى عليه السلام، فحاشاه أن يطعن فيه طاعن، وهو من أولي العزم، ولكن تصرفه مع هارون قد يندرج في دائرة السهو أو الاجتهاد الذي لم يقر عليه، أو يكون غضبا للحق، ولكنه في حق هارون في ظاهره تصرف سلبي، ولكنه ـ كما أشرت في أول المطلب- أن السلوك السلبي متفاوت. انظر: مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، د. ت. (٦/ ٢٩٠) و الدرر السنية في الأجوبة النجدية، المؤلف: علماء نجد الأعلام، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة: السادسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م. (١/ ٢٥٤) وغيرها...

في الحب والدلال والإغضاء عن الزلاّت، وأخطر من ذلك: أن يعلنا كرههما للواحد وحبهما للآخر، فتلك هي بذرة العداء بين الإخوة والأخوات، تثمر بعد رشدهم واستقلالهم بشؤون أنفسهم جفاءً وخصومة قد ينتهيان إلى الجريمة[١١٩].

٩- عدم تعاطي الحقوق، أو التعدي على حق الأخ، وقد جعل الله للأرحام حقوقا ينبغي الوفاء بها، وعدم التفريط فيها، بل ونظم التعاملات بين الإخوة، وخاصة تلك التي تكون سببا للخلاف، كالمواريث والحقوق المالية، واي تفريط في ذلك أو تعدٍ يؤدي إلى الخلاف والشقاق بين الإخوة. وأدلة ذلك كثيرة في القرآن والسنة.

المبحث الثالث: آداب أخوة النسب وثمراتها

المطلب الأول: آداب ومقتضيات أخوة النسب

الأخوّة في النَّسَب علاقة قوية، ورابطة قائمة على القرابة الشديدة من الرحم، وهي إذا انضافت إلى أخوة الدين، فإنها تصير من أقوى الروابط وأعمقها، ولذلك نجد في القرآن الكريم بيانا لآدابها ومقتضياتها؛ لأهميتها أولاً، ولأنه قد يقع في هذا المستوى الأخوي بعض التجاوزات بسبب كثرة الألفة، أو شدة القرابة، والتي قد تضيع فيها بعض الآداب. وأيضا: لتؤتي هذه الأخوة ثمارها بصورة فاعلة، ولا تكون عامل هدم وضعف للمجتمع. وسوف أسوق هذه الآداب والمقتضيات مساقاً واحدا في هذا المطلب، وذلك كما يلي:

١- هذه الأخوة تدخل فيها آداب ومقتضيات أخوة الدين دخولا أوليا، ذلك أن الأخ من النسب والمسلم، هو أخ في الدين أيضا، وبالتالي **تجتمع فيه أُخُوَّتان فتكون الرابطة أَقْوَى**[١٢٠].

والأخوة في الدين رابطة تقوم على أساس التماثل في الاعتقاد والتفكير والعمل والسلوك، وعندما يقال: أخوة الدين، فإن ذلك تشبه لها بتماثل الأخوين -ولا سيما إذا كانا شقيقين- في كثير من الخصال والخلال، وقد بينت السنة النبوية ما تقتضيه الأخوة في الدين من التزامات أدبية وأخلاقية وعلمية، فقال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة،

(١١٩) هكذا علمتني الحياة، المؤلف: مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م. (ص: ١٢٦) والتفسير القرآني للقرآن (٦/ ١٢٤٢) وأيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٩٦) والتوجيه والإرشاد النفسي، المؤلف: الدكتور حامد عبد السلام زهران، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الثالثة. د.ت. (ص: ٤٥٣)

(١٢٠) اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ٥٤٤)

فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»[١٢١]. وقال أيضا: «حق المسلم على المسلم ست» قيل: ما هن يا رسول الله؟، قال: «إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فسمته، وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه»[١٢٢]. وهذا القدر يكفي لبيان جانب من مقتضيات أخوة الدين، وهي كما قلت مقتضيات أيضا لأخوة النسب بين أخوين مُسلِمَين.

٢ـ الدعاء، وهذا يشهد له دعاء موسى لأخيه، بقوله:{رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} الأعراف:١٥١، وبقوله:{رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} المائدة:٢٥. فهو يدعو لنفسه ولأخيه، بالمغفرة والرحمة، وبجلب الخير ودفع الشر، وبالإبعاد عن فريق الفسق والعصيان، بحيث لا يصيبهما ولا يضرهما ما يعاقب به ذلك الفريق[١٢٣].

جاء عن بعض المفسرين أن المراد بالأخ في قوله: (لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي): أخوة الدين، ومعناه: إنما أملك نفسي ومن يؤاخيني ويوافقني، كهارون ويوشع وكالب.. فيكون مقتضى الدعاء هو المؤاخاة والموافقة في الدين والرأي[١٢٤].

وذكر جمهور من المفسرين أن الأخ المراد بقوله: (لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي) هو الأخ من النسب. وعليه فيكون مقتضى هذا الدعاء هو الأخوة المخلِصة من النسب، والتي تعززت بكونها أخوة من الدين أيضاً، وقد حازت على الثقة التامة من الأخ بأخيه، عن خبرة وتجربة، في العسر واليسر والمنشط والمكره، ولم تكن تلك الثقة موجودة عند موسى بغير أخيه هارون، واجتماع تلك الصفات في تلك الأخوة اقتضت التخصيص بالدعاء[١٢٥].

ومن الدعاء للأخ أيضا: ما جاء عن يوسف لإخوته بقوله: {يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} يوسف:٩٢، فالصحيح أن هذا دعاء من يوسف عليه السلام لإخوته بالمغفرة، وهذا على تقدير الوقف على قوله: (لا تثريب عليكم اليوم). ثم الابتداء بقوله: (يغفر الله

---

(١٢١) التيسير في أحاديث التفسير (٢/ ٣٦٢)، والحديث في صحيح البخاري (٣/ ١٢٨) رقم:٢٤٤٢.

(١٢٢) الحديث في صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، د. ت. (٤/ ١٧٠٥) رقم: ٢١٦٢.

(١٢٣) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ـ دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى ـ ١٤١٤ هـ. (٣٣/٢، ٢٨٤)

(١٢٤) محاسن التأويل (٤/ ١٠٢)

(١٢٥) انظر: تفسير المراغي (٦/ ٩٣)

لكم)[١٢٦]. وفي ذلك درس في أن الأخوة تقتضي مثل هذا التسامح والدعاء بالخير[١٢٧]. والاقتداء بهؤلاء الرسل والأنبياء هو مقتضى القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: {أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} الأنعام:٩٠.

٣- **الاحترام المتبادل،** فالأخوة توجب تبادل المحبة والوفاء، وتؤدي إلى التآلف والتعاون بين الإخوة[١٢٨]،وعدم الاحترام يؤدي إلى التباغض والهجران.

٤- **احترام الخصوصيات ومراعاتها،** وذلك أن كل شخص له من الخصوصيات ما لا يحب أن يطلع عليها أحد، أو ما لا يشركه فيها أحد، والقرابة لا تبيح التعدي على خصوصيات الأخ، سواء كان ذكرا أم أنثى. والأخت مع أخيها والعكس، قد تكون بينهما خصوصيات أكثر من الأخ مع الأخ أو الأخت مع الأخت، وقد أشار القرآن إلى هذا الاحترام والأدب في سورة النور، عندما وضع ضوابط للزيارات والدخول إلى بيوت الإخوة والأقارب، وغير ذلك من آداب الخُلطة، فمع أن الله أراد رفع الحرج بين الأقارب، ومنهم الإخوة، لكنه حَضّ على الاستئذان عند الدخول إلى بيوتهم، فقال بعد أن بين أنه لا حرج من الأكل من بيوت الأقارب من النسب:{فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون} النور: ٦١. أي إذا دخلتم بيتا من هذه البيوت لتأكلوا، فابدأوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم، قرابة ودينا. فهذه البيوت لها حرمتها، ولأهلها الذين هم فيها علاقة مودة وقربى بمن يدخلون عليهم فيها.. ومن أجل هذا كان التسليم على أهلها، وصْلا لهذه المودة، واستدعاء لهذه القرابة[١٢٩]. وفي التسليم استئذان قبل الدخول لبيان أن لتلك البيوت حرمتها وإن كانت للأقارب[١٣٠].

٥- **القول الحسن، وعدم الخشونة أو التطاول عليه فيه،** كما يفهم من عموم قوله تعالى: {وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ} الإسراء:٥٣، فالشيطان ينزغ بين الاخوة بالكلمة الخشنة تفلت وبالرد السيء يتلوها فاذا جو الود

---

[١٢٦] انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٢٧٨)

[١٢٧] انظر: روح المعاني (٧/ ٧٧)

[١٢٨] انظر: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، المؤلف: محمد منير مرسي، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: طبعة مزيدة ومنقحة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م. (ص: ٢٠٤)

[١٢٩] انظر: محاسن التأويل (٧/ ٤١٠) والتفسير القرآني للقرآن (٩/ ١٣٣٣)

[١٣٠] انظر: التفسير القرآني للقرآن (٩/ ١٣٣٣)

والمحبة والوفاق مشوب بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء. والكلمة الطيبة تأسو جراح القلوب وتندي جفافها وتجمعها على الود الكريم(١٣١).

ونستدل لهذا أيضا بما جرى بين الخصمين، ومن بيان داود عليه السلام لهما أن التطاول في الخطاب على الأخ مما لا ينبغي؛ فهو من أبواب الظلم، كما في قوله: {فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ، قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ} ص:٢٣،٢٤، فهذا ليس من شأن التحاب بين الأخوين والإنصاف منهما، فهو ظلم وما كان من الحق أن يسأله ذلك أعطاه أو منعه، ولأنه تطاول عليه في الخطاب(١٣٢).

ومن هذا الباب قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ} الحجرات:١١، يدخل في مضمونه الإخوة من النسب، فالسياق في السورة متسق في الكلام عن أداب العلاقات الاجتماعية، والإخوة جزء من المجتمع المخاطَب(١٣٣).

٦- السؤال عن الأخ وتفقد أحواله، وقضاء حوائجه، وعدم القطيعة معه، فذلك مما يقوي الصِّلات وينميها، بين الإخوة. فقد قال يوسف { **قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ** } يوسف: ٥٩، وأدلة هذه الأعمال متظاهرة في الشريعة الإسلامية. وفي الحديث قال ﷺ: "بُلّوا أرحامكم ولو بالسلام"(١٣٤)، ومعنى: (بلوا أرحامكم) أي أندوها بما يجب أن تندى به وواصلوها بما ينبغي أن توصل به، (ولو بالسلام) يقال الوصل بلٌ يوجب الالتصاق والاتصال، والهجر يفضي إلى التفتت والانفصال. قال الزمخشري: استعار البلل للوصل كما يستعار اليبس للقطيعة، لأن الأشياء تختلط بالنداوة وتتفرق باليبس(١٣٥).

٧- البر بالأخ الأكبر أو الأخت الكبرى، وزيادة احترامهما وتقديرهما، والانقياد لهما، قال تعالى{ **قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ**

(١٣١) البيان في مداخل الشيطان، المؤلف: عبد الحميد جاسم أحمد الجاسم البلالي، قدم له: محمد أحمد الراشد، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: السادسة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م . (ص: ١٦٣)

(١٣٢) انظر: التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٣٦)

(١٣٣) انظر: التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٤٦)

(١٣٤) الحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٥٤٦) رقم: ٢٨٣٨ .

(١٣٥) فيض القدير (٣/ ٢٠٧)

الْحَاكِمِينَ }يوسف: ٨٠ وفي المقابل تقع على الأخ الأكبر مسؤولية أكبر في حفظ الأخوة وتقويتها. والمسؤولية نحو الأخوات أكبر[١٣٦]..

٨ـ **الإنصاف في التعاطي للحقوق والواجبات،** ومثال ذلك ما جاء في قصة الخصمين الذين اختصما إلى داود عليه السلام[١٣٧].

٩ـ النُّصح للأخ، والحرص على مصلحته، وأعظم ما يكون ذلك في المصلحة الدينية، وهذا النصح والحرص يقتضي السعي الإيجابي في إصلاح أمر الأخ، ولو كان كافرا، فتستعمل معه الوسائل الممكنة والمناسبة، من النصح والتوبيخ والمحاورة والمناظرة..، وهذا يمكن أخذه من قصة الأخوين: المؤمن والكافر، الواردة في سورة الكهف - على رأي من يرى أنهما أخوين من النسب[١٣٨]-، ففي القصة يقول تعالى عن الأخ الكافر: {**وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً** } الكهف:٣٤، وهذا منطق المتعالي على أخيه، والجاحد نعمة ربه، ومع ذلك فقد كان منطق المؤمن هو الإلحاح على أخيه ببيان سبل الهداية، والنصح والإرشاد له؛ توخيا لمصلحته، وحرصا على هدايته، كما يشير له حواره معه، ففي الآيات يتضح جهد الأخ المؤمن في بيان الحق لأخيه الكافر، وحضه على اتباع الهدى، وسلوك السبيل السوي[١٣٩]، وهو يتدرج معه في الكلام، من النصح، إلى الإرشاد، إلى الأمر والنهي، إلى التوبيخ، إلى التذكير، إلى التخويف بعذاب الدنيا والآخرة، وكل ذلك يوضح حرصه على هداية أخيه وإنقاذه من الضلال، وليس ذلك عصبية، بل ليدل على أن الأخ من النسب هو مِنْ أوْلى الناس ببذل الجهد في سبيل دعوته إلى الحق، والحرص على هدايته[١٤٠].

١٠ـ السعي في الإصلاح بين الإخوة، إذا حدث شقاق وخلاف بين بعضهم، وأيضا السعي في التصالح مع الإخوة، وهذا جزء مما يفهم من قوله تعالى: {فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} الحجرات:١٠، فالمتعارف بين الناس أنه إذا نشبت مشاقة بين الأخوين لزم بقية الإخوة أن يتناهضوا في إزاحتها؛ مشيا بالصلح بينهما، فكذلك شأن المسلمين إذا حدث شقاق بين طائفتين منهم أن ينهض سائرهم بالسعي بالصلح بينهما[١٤١].

---

[١٣٦] بناء المجتمع الإسلامي، المؤلف: د نبيل السمالوطي، الناشر: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة: الثالثة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م. (ص: ٦١) وكيف تربي ولدك، المؤلف: ليلى بنت عبد الرحمن الجريبة، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات. (ص: ٩٣)

[١٣٧] انظر: التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٣٦)

[١٣٨] انظر: فتح القدير (٣/ ٣٣٨)

[١٣٩] انظر: فتح القدير (٣/ ٣٤٠)

[١٤٠] انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٧٧) وزاد المسير في علم التفسير (٣/ ٨٥)

[١٤١] التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٤٤)

١١ـ الابتعاد عما يؤدي إلى الفرقة والأحقاد بين الإخوة، يقول تبارك وتعالى {قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ } يوسف: ٥ ،وسواء كان ذلك من الآباء، كتمييز بعض الأبناء على البعض الآخر، أو قيام بعض الإخوة بأي شيء يؤثر سلبا في علاقته مع أخيه أو إخوته، كالمراء و الجدال والسخرية والاستهزاء ونحو ذلك. فينبغي الابتعاد عن أسباب الخلاف، والإكثار من أسباب الاتفاق والوفاق..

١٢ـ البعد عن التكلف، الذي يؤدي إلى قلة الزيارات والتواصل، قال تعالى: {قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي} طه: (٩٤) وقال الراغب[١٤٢]: التكلف: اسم لما يفعله الإنسان بمشقة أو بتصنع أو بتشبع، ولذلك صار التكلف ضربين: محمود وهو ما يتحراه الإنسان ليتوصل به إلى أن يصير الفعل الذي يتعاطاه سهلا عليه ويصير كلفا به ومحبا له. الثاني ما يتحراه مباهاة ورياء، وهو مذموم، ومنه {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ} ص:٨٦.

وبناء عليه فإن حسن المعاشرة بين الإخوة يقتضي عدم التكلف، ونحن نرى أن الذين لا يتكلفون يكونون كثيري التواصل ومألوفين، بخلاف من يَتكلف أو يُتَكلّف له، فتمام الألفة بالبعد عن الكُلْفة، وهذا ـ بلا شك- يكون مع وجود الأدب التام[١٤٣].

١٣ـ التغاضي عن الأخطاء، وقد ذكرنا أن ذلك مما يدفع الإخوة إلى السلوك الإيجابي والتكفير عما كان منهم، كما حدث مع يوسف عليه السلام تجاه إخوته الذين أخطأوا في حقه، وتغاضى عنهم.

والمقصود بهذا أن يغض الأخ طرفه عما يجد من عيوب أخيه؛ لأنَّه ما من إنسان إلا وفيه عيب، غير المعصوم ـ ﷺ- والأنبياء، أما بقية البشر فليسوا بمعصومين، بل لا بد لهم من خطأ وزلل[١٤٤].

١٤ـ حسن الظن وقبول الظاهر، وعدم التقصي في نية كل أمر، وهذا يعود إلى النقطة السابقة، والله يقول:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا..} الحجرات :١٢. وهذا يشمل الإخوة من النسب.

---

[١٤٢] المفردات في غريب القرآن (٧٢١)

[١٤٣] انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٥/ ٦١٧) والأخوة أيها الإخوة، المؤلف: أبو العلاء محمد بن حسين بن يعقوب السلفي المصري، الناشر: المكتبة الإسلامية، القاهرة، د . ت. (ص: ١٦٧)

[١٤٤] انظر: الأخوة أيها الإخوة (ص: ٦٥)

_المطلب الثاني: ثمرات أخوة النسب

الأخوة من النسب من أقوى الروابط في المجتمع، ولذلك فالمحافظة عليها، وجعلها فاعلة يحقق ثمارا عظيمة، على المستوى الفردي الخاص وعلى المستوى الجماعي العام، في الدين والدنيا، وقد بين القرآن الكريم عَدِيدَ الثمار المترتبة على تحقيق أخوة النسب، إذا انضبطت في إطار الشريعة الإسلامية، وتتجلى تلك الثمار فيما يأتي:

١ـ **توفير القوة والمنعة**، وقد عبر القرآن عن ذلك فيما جاء عن موسى وأخيه هارون عليهما السلام، حيث أن موسى طلب من ربه أن يشرك معه هارون أخاه في الرسالة، وبرر ذلك بأن قال: {وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي} طه: ٢٩ـ ٣١، فموسى سأل ربه أن يقوي ظهره بأخيه، وأن يجعل له به قوة[١٤٥]. وقد استجاب الله له ذلك الطلب، وبين له أنه سيشد عضده بأخيه، كما قال تعالى:{قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ} القصص:٣٥، قال الطبري: قال الله لموسى (سَنَشُدُّ عَضُدَكَ) : أي نقوّيك ونعينك بأخيك. تقول العرب إذا أعزّ رجل رجلا وأعانه ومنعه ممن أراده بظلم: قد شدّ فلان على عضد فلان[١٤٦]. وقد جاءت الإشارة إلى أهمية المنعة التي توفرها القرابة، في قوله تعالى: {وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ} هود:٩١. فرهط الرجل: عشيرته وقومه الأدنون، وذلك من مصادر القوة والمنعة. ولا شك أن الإخوة في مقدمة القوم والعشيرة. وهذا على راي من يقول بأن قوة الرهط ومنعتهم هي التي وفرت تلك القوة والمنعة لشعيب عليه السلام[١٤٧].

٢ـ **تجاوز نقاط الضعف التي يشعر بها الأخ**؛ حتى لا يستغلها الخصم، كما يفيده قوله تعالى:{وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ} القصص:٣٤، قال المفسرون: وقوله: (هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا) يحتمل وجوهًا: أحدها: ما قاله أهل التأويل من أنه: كان في لسانه رتَّة أي: عقدة لما أدخل في فمه من النار؛ وذلك لا نعلمه، وقد قال في آية أخرى: (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي)، فيجوز أن يكون ذلك خلقة خلقه الله هكذا، على ما خلق بعض الخلق أفصح وأبين من بعض.

---

[١٤٥] انظر: تفسير الطبري = جامع البيان (١٨/ ٣٠١)

[١٤٦] تفسير الطبري = جامع البيان (١٩/ ٥٧٨)

[١٤٧] انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان،١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥ م. (٢/ ١٩٨) والتفسير القرآني للقرآن (٦/ ١١٩٢)

ثانيها: أن يكون لما ذكر له من الخوف والذنب مما لم يكن لهارون، ولا شك أن الخوف الشديد يمنع صاحبه عن التكلم والبيان، وذلك متعالم معروف في الناس.

ثالثها: أن يكون ذلك لأن نشوء هارون كان فيهم وهم بلسانه أعرف، ومنطقه أفهم، ولموسى فترات كان معتزلا عنهم[١٤٨].

وأحيانا قد تكون نقطة الضعف الشخصية لا يحب الأخ أن يعلم بها أحد غريب، أو ممن ليس من قرابته، ولكنه لا يجد في اطلاع الأقربين عليها غضاضة، فالأخ أفضل من يستر أخاه ويعينه على تجاوز نقطة ضعفه.

٣- الإنجاز السريع، مع كثرة الشيء المنجَز، فالأخ هو طاقة أخرى تضاف إلى أخيه، والانسجام والأُلفة القوية من عوامل الإنجاز، وإذا كثر العاملون بهذه المواصفات مع فَهْم العمل والتأهل له، فلا شك أن المنجز من العمل يكون كثيرا ونوعيا، وهذا ما يمكن إدراكه من قصة موسى وهارون عليهما السلام، حيث كان من تبريرات موسى لإشراك أخيه معه أن قال: {كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً، وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً }طه:٣٣،٣٤، وفي ذلك بيان أن الدعوة إلى الله ومثلها جميع المهام، التي تهدف إلى خدمة الصالح العام، لا تنجح ولا تنتشر على أوسع نطاق، إلا إذا وجد القائمون بها أعوانا على الخير، يؤازرونهم في العمل، ويشاركونهم في المسؤولية، وبذلك تتضاعف النتائج وتزكو الثمرات[١٤٩].

٤- توفير البيئة التعاونية الإيجابية، التي تعين على المهام، وتؤازر صاحبها فيها، ومن أعظم العوائق وأشدها على النفس: العوائق التي تأتي من داخل الأسرة، والتوافق الأسري من أهم عوامل النجاح والإيجابية[١٥٠].

٥- تحقيق التكافل الاجتماعي على المستوى الأسري، فالله سبحانه يأمر بالإحسان إلى الأقربين، ومنهم الإخوة والأخوات من النسب، وقد جعل الإسلام التعاطي عموما بين الأقارب صدقة وصِلة، بل إن كفالة الأخ المحتاج قد ترقى إلى الوجوب على إخوته الموسرين[١٥١]، وفي قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتاتاً} النور: ٦١، دعوة إلى البر والتوادّ بين المسلمين عامة، وبين الأهل والأقارب خاصة، وقد بينت

---

[١٤٨] تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٨/ ١٦٧) بتصرف يسير.

[١٤٩] التيسير في أحاديث التفسير (٤/ ٦٦)

[١٥٠] انظر: التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، المؤلف: عاطف السيد، الناشر: المؤلف، د. ت. (ص: ٢٧) والتوجيه والإرشاد النفسي (ص: ٤٥٤) ومَوْسُوعَةُ الأَخْلَاقِ، المؤلف: خالد بن جمعة بن عثمان الخراز، الناشر: مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م. (ص: ٣٤٦)

[١٥١] انظر: التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، ط (١٣٨٣ هـ) ، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية. (٦/ ٣٩٠)

الآية صورة للتكافل بين الأقارب في الطعام، وهو من أخص الخصوصيات، وأجازت للأقارب أن ينالوا من طعام قريبهم ما يسدون به جوعهم، بإذنٍ وبغير إذن، وهكذا يكون التكافل بين الأقارب وذوى الأرحام(١٥٢).

٦- **تحقيق التماسك والترابط المجتمعي،** حيث تربط الأخوة بين الأفراد وتشد من أواصر الصلة والمحبة والتعاون، كما أن فيها صيانة للروابط الاجتماعية من عوامل البغضاء والأحقاد، وحماية للمجتمع من أشكال الانحراف الخطرة.

٧- **تحقيق الأمن الاجتماعي،** فلا يستشعر الفرد المسلم الفارق بينه وبين أخيه، سواء كان ذلك الفارق في المال أو في الجاه أو في غير ذلك؛ لأنه يرى أن أخاه لن يتركه للحاجة والعوز، مما يحقق لديه الشعور بالأمان والكرامة(١٥٣).

٨- **زوال الخصومات، أو ضعفها على الأقل،** وذلك أن الأخوة الحقّة تقتضي تعاطي الحقوق، والتعاون على كل خير، والمسارعة بإصلاح أي فساد قد يقع بين الإخوة، وبهذا تزول الخصومات أو تكاد.

٩- **توفير الغطاء الاجتماعي، فكون الإنسان له إخوة في المجتمع،** أو أقارب ولو كانوا على غير رأيه وفكره، فإن ذلك يمنحه حماية من أي اعتداء، ويجعل له قبولا في أوساط المجتمع، وهذا معلوم من خلال الواقع.

ويمكن أن نستدل له أيضا بوضوح من بيان القرآن أن الرسل أرسلوا إلى قبائلهم التي انحدروا منها، كما في قوله تعالى: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً} الأعراف:٦٥، وغيرها من الآيات المماثلة في سائر الأنبياء والرسل، فقد أرسل الله رسلا ذوي نسب معروف، لا يمكن إهداره، بل إن لهم أقارب لا يمكن أن يتجاوزهم الخصوم، إما من باب الخوف منهم، أو من باب الإكرام لهم والاعتراف بمكانتهم. وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: " ما

(١٥٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن (٩/ ١٣٢٥)

(١٥٣) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٢/ ١١٥)

بعث الله نبيا إلا في منعة من قومه"[١٥٤]. وهذا معناه أنه يبعث فِي قوم يمنعونه من الْأَعْدَاء[١٥٥].

وقد ذكر الله ذلك عن شعيب عليه السلام، كما في قوله تعالى:{وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ} هود:٩١. في هذه الآية الكريمة: أن نبي الله شعيبا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، منعه الله من الكفار، وأعز جانبه بسبب العواطف العصبية، والأواصر النسبية من قومه الذين هم كفار[١٥٦]. وقد لا يكون ذلك بسبب كثرة الأقارب من النسب، وإنما لما لهم من المكانة الاجتماعية، كما قال في التحرير والتنوير: أن الإبقاء على شعيب مجرد كرامةٍ لقرابته لأنهم من المخلصين لدينهم[١٥٧].

---

[١٥٤] الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م. (١٦/ ٥٢٥) رقم: ١٠٩٠٣ ، وقال مخرجه: حديث صحيح.

[١٥٥] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، د. ت. (٣/ ١٧٢)

[١٥٦] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ١٩٨)

[١٥٧] التحرير والتنوير (١٢/ ١٤٩)

الخاتمة

وفيها أهم نتائج وتوصيات البحث.

أولا: النتائج:

في إطار الأهداف التي توخيتها من هذا البحث (الإخوة وسلوكهم في القرآن الكريم: أخوة من النسب: المفهوم والدلالات والثمرات)، توصلت إلى النتائج التالية:

١ـ الأخوة العامة هي: حالة من التقارب والتآلف، تتجلى من خلال التوافق والمحبة والاحترام، وتقوم على أسس وركائز جامعة تربط بين المتآخِيْن. وقد أُخذ منها مفهوم الأخوة في الدين، فقالوا بأنها: رابطة تقوم على أساس التماثل في الاعتقاد والتفكير والعمل والسلوك. تشبيها لها بتماثل الأَخَوين في كثير من الخصال ولا سيما إذا كانا شقيقين.

٢ـ الأخوة تقوم على أساس التناسب والتوافق المعنوي، أو التقارب الحسي، أو التشابه والتماثل في الصفات، ولكلٍ من هذه الأسس أسباب ذاتية في الأشخاص أو خارجة عنهم.

٣ـ أنواع الأخوة التي ذُكرت في القرآن فيها نوع من التداخل والعموم والخصوص. ويمكن التفريق بينها من خلال معرفة خصائص كل نوع ومظاهره.

٤ـ أخوة النسب هي: الرابطة القوية الحاصلة بسبب القرابة المشتركة في الأبوين أو أحدهما، بين أَخوَين أو أكثر، ذكورا وإناثا.

٥ـ النسب قد يطلق على القرابة المباشرة، كالإخوة من الأبوين أو من أحدهما، وقد يطلق على القرابة البعيدة، كالإخوة من القبيلة.

٦ـ أخوة النسب والقرابة، راعاها الإسلام، وجعلها ركيزة أساسية لصلة الرحم.

٧ـ ذكر القرآن الكريم أخوة النسب في سياقات ذات دلالات متنوعة، منها ما يقصد به الأخوة المجردة من النسب، من غير ارتباط بدلالة أخرى، ومنها ما له ارتباط بدلالات إيجابية، ومنها ما له ارتباط بدلالات سلبية.

٨ـ الأخوة المذكورة بين الأنبياء وأقوامهم الراجح فيها أنها تدل على أخوة النسب؛ لأنه ليس بين الأنبياء وأقوامهم الكافرة أخوة محبة ومودة ولا أخوة دين.

٩ـ اشتراك الإخوة من النسب في الأم والأب يجعلهم أكثر تعاطفا وتراحما، ويأتي في الدرجة الثانية الاشتراك في الأم، ثم في الأب. وهذا كما في قصة يوسف وأخيه بنيامين وإخوته من أبيه، وكذلك في قصة موسى وهارون.

١٠- يوضح القرآن الكريم أنواعا إيجابية وسلبية من سلوك الإخوة من النسب، كما يبين الدوافع التي تدفع الإخوة من النسب إلى تلك الأنواع من السلوك .

١١- الناظر في القرآن الكريم يجد أنه قد بين السلوك بين الإخوة من النسب، في صورتين: صورة سلوك إيجابي متبادل بين الإخوة، وهذا مثلما هو بين موسى وإخوته. وصورة سلوك إيجابي في مقابله سلوك سلبي، وهذا مثلما هو بين يوسف وإخوته، وبين ابني آدم، وبين الأخوين المتخاصمين إلى داوود عليه السلام، وحتى بين الأخوين المؤمن والكافر في سورة الكهف.

١٢- لأخوة النسب آداب ومقتضيات، تقتضيها تلك العلاقة الشديدة بين الأقارب في هذا المستوى، لتحتكم بضوابط الشرع والدين، وتلك الآداب تشمل أول ما تشمل آداب أخوة الدين، لأن أخوة النسب هي في إطار أخوة الدين في الأصل، ثم لها آداب خاصة تتسق مع وضعها الخاص.

١٣- أخوة الدين تقدم على أخوة النسب عند المقارنة، لأن أخوة النسب إنما هي في حدود الجسد فقط، بينما أخوة الدين هي في أكرم مقومات الإنسان. وإذا اجتمعت أخوة الدين وأخوة النسب، فإنها تصير أقوى؛ لاجتماع الأخوتين.

١٤- الأُخُوة من النسب من موجبات التراحم والتعاطف وتقوية العلاقات، على مستوى الأسرة والمجتمع.

١٥- أخوة النسب توفر الغطاء الاجتماعي الحامي للإنسان، ولو في مستوياتها الدنيا.

١٦- أخوة النسب القوية والصالحة لها آثار إيجابية على الفرد والمجتمع، في مستويات الأداء والإنجاز.

١٧- أخوة النسب من أهم ما يقضي على الضعف في المستوى الفردي، ويقضي على التفرق في المستوى الاجتماعي.

ثانيا: التوصيات:

في آخر هذا البحث يوصي الباحث بتوصيتين اثنتين، هما:

١- التركيز على الجوانب الاجتماعية في الأبحاث القرآنية، وخصوصا التي لها آثار إيجابية مباشرة على المجتمع.

٢- مواصلة البحث في أنواع الأخوة التي ذكرها القرآن، وذلك من خلال التركيز على دوافعها، ومظاهرها، وأحكامها، ومستوياتها، وجوانب السلوك فيها عموما.

والله أعلى وأعلم.

المصادر والمراجع

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان،١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.

- الأخوة أيها الإخوة، المؤلف: أبو العلاء محمد بن حسين بن يعقوب السلفي المصري، الناشر: المكتبة الإسلامية، القاهرة، د . ت.

- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

- البيان في مداخل الشيطان، المؤلف: عبد الحميد جاسم أحمد الجاسم البلالي، قدم له: محمد أحمد الراشد، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: السادسة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- التحرير والتنوير، تونس، محمد الطاهر ابن عاشور، ط (١٩٨٤ هـ)الدار التونسية للنشر.

- التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، المؤلف: محمد منير مرسي، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: طبعة مزيدة ومنقحة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط١ (١٩٨٣م)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

- التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، ط (١٣٨٣ هـ) ، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.

- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت.

- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.

- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م) .

- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر، للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.

- التوجيه والإرشاد النفسي، المؤلف: الدكتور حامد عبد السلام زهران، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الثالثة. د. ت.

- التيسير في أحاديث التفسير، المؤلف: محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، المؤلف: علماء نجد الأعلام، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة: السادسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي ، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥ هـ .

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

- العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال. د. ت.

- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، المؤلف: الدكتور سعدي أبو حبيب، الناشر: دار الفكر. دمشق – سورية، الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.

- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت .

- اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد

معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية، ط١(١٤٢٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

- المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وآخرون، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، استانبول، تركيا.

- المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني، دار العلم والدار الشامية، دمشق - بيروت، ١٤١٢ هـ، ت : صفوان عدنان داودي.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر:، بين: ١٩٧٣ م و١٩٩٦م.

- بناء المجتمع الإسلامي، المؤلف: د نبيل السمالوطي، الناشر: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة: الثالثة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، للمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د ت.

- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.

- تفسير البغوي = معالم التنزيل في تفسير القرآن، المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ .

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ ه.

ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ط٣(١٤٠٧ هـ)، بيروت، دار الكتاب العربي.

ـــ تفسير الشعراوي، الخواطر، محمد متولي الشعراوي (١٩٩٧م) مطابع أخبار اليوم.

- تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

- تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

- تفسير القرطبي= الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

- تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

- تفسير المنار ، تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا (المتوفى : ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط١(٢٠٠٠ م)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة.

- حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، دار النشر: دار صادر – بيروت. د. ت.

- دعوة الرسل عليهم السلام، المؤلف: أحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.د.ت.

- زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

- زهرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار النشر: دار الفكر العربي .

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ ه.

-ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ه.

- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المؤلف: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

- صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

- صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ).

- صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، د. ت.

- صفوة التفاسير، المؤلف: محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

- علم الأخلاق الإسلامية، المؤلف: مقداد يالجن محمد علي، الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)

الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، د. ت.

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

- في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب إبراهيم، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ .

- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.

- كيف تربي ولدك، المؤلف: ليلى بنت عبد الرحمن الجريبة، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

- مجمل اللغة لابن فارس، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، د. ت.

- محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤١٨ هـ.

- مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر

الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر ط١(٢٠٠٨ م)، عالم الكتب.

- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- مَوْسُوعَةُ الأَخْلَاقِ، المؤلف: خالد بن جمعة بن عثمان الخراز، الناشر: مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - ﷺ، المؤلف : عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

- هكذا علمتني الحياة، المؤلف: مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.